

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

ديوان
علي بن المحم

عني بتحقيقه

خليل مردم بك

رئيس مجمع اللغة العربية سابقاً

١٨٩٥ - ١٩٥٩

طبعة ثانية تمت ازبزيادات بخط المحقق

منشورات دار الافاق الجديدة بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

ديوان
علي بن الحزم

عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ

١٨٨ ؟ — ٢٤٩

مباني

أبو الحسن علي بن الجهم بن بَدْر بن الجهم بن مسعود القرشي السامي ، ينتهي نسبه إلى سامة بن لؤي بن غالب (١) . وبنو سامة بطن من قُرَيْش يقال لهم قُرَيْش العازبة (٢) ، لأن سامة خرج مع امرأته نَاجِيَة من مكة إلى نَاجِيَة البحرين ، وأولاده منها هناك . وعلي بن الجهم يفخر بنسبه هذا في عدة مواضع من شعره .

وترك بعض بني سامة — المتحدر منهم علي بن الجهم — موطنهم في البحرين إلى مُخراسان ، ولا نعلم أول من رحل منهم ، ولا الزمن الذي رحلوا فيه ، ولكنه على كل حال بعد أن فتح المسلمون مُخراسان سنة ٣١ .

أما دار علي — أودار جده علي الأصح — فقد أشار علي نفسه في أبيات من شعره إلى أنها كانت بمدينة مَرَوِ المعروف بِمَرَوِ الشاهجان قصبة مُخراسان قال :

أَنْظَرْتَنَّا (وَقَدْ) مَرَرْنَا « بِمَرَوِ » وَوَرَدْنَا « الرِّزِيقَ » « وَالْمَاجَانَا » (٣)
أَنْ نُحْيِيَ دِيَارَ « جَهْمِ » وَ« إِذْرِيدِ سَ » بِخَيْرٍ وَنَسْأَلُ الْإِخْوَانَا
وَالْجَهْمِ وَإِدْرِيسَ ابْنَا بَدْرَ ، وَالِدَ الشَّاعِرِ وَعَمِّهِ .

(١) ساق أبو الفرج الإصصهاني عمود نسبه منسلاً في الأغاني ١٠ - ٢٠٣ والطبيب البغدادي في تاريخ بغداد بترجمة والده الجهم ٧ - ٢٤٠ وان أني. الحديد في نرج نهج البلاغة ١ - ٢٦٢ وابن خلكان في وفیات الأعيان ١ - ٤٤١ . والمرزباني في معجم الشعراء ص ٢٨٦

(٢) الأغاني ١٠ - ٢٠٠ .

(٣) الرزيق والماجان : نهران كبيران يجتزمان مدينة مَرَوِ الشاهجان . انظر

تكملة الديوان قطعة ١٠١ ص ١٨٦ .

ديوان علي بن الجهم

وانتقل الجهم - والد علي - من خراسان إلى بغداد ، ولا نعلم متى كان انتقاله ، أقبل مولد ابنه علي أم بعده ، فقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٨٦ أن أصل علي من خراسان ، وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٦٧/١١ وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤١١/١ أن علياً من نائلة^(١) خراسان ، فيجوز أن يكون وُلِدَ ببغداد بعد أن انتقل أبوه إليها ، أو أن أباه انتقل به إلى بغداد وهو طفل ، وكلام المرزباني لا يدل على أنه ولد بخراسان .

وهذه الخراسانية مما يفخر به علي أيضاً ، لا من جهة النسب ، بل من جهة المذهب السياسي ، لأن أهل خراسان هم الذين قاموا بالدعوة العباسية قال :

مَذْهَبِي وَاضِحٌ وَأَصْلِي خُرَاسَا نٌ وَعِزِّي بِعِزِّكُمْ مَوْصُولُ^(٢)

وأُسرة علي بن الجهم من عليّة القوم ، فقد وليّ المأمون أباه الجهم بريد اليمن وطرازها وولاه الثغر ، كما ولّاه الواثق الشرطة في بغداد^(٣) . وكان أخوه الأكبر محمد بن الجهم عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه ويروي عنه ويستشهد بكلامه ، وكان مقرّباً عند المأمون ولّاه عدة ولايات^(٤) في بلاد فارس ، وولّاه المعتصم دمشق^(٥) سنة ٢٢٥ . وله أخ آخر اسمه عبد الله^(٦) لم نطلع على شيء من أخباره . وكان عمه إدريس بن بدر من الرؤساء الوجهاء رثاه أبو تمام الطائي^(٧) ، وكذلك ابن عمه عثمان بن إدريس^(٨) كان ممن قصدهم أبو تمام . لم يعين أحد ممن ترجم لعلي بن الجهم سنة مولده ، ولكننا نقدر أنه ولد

(١) الساقطة من الناس : خلاف القُطَّان . وم الذين نسبهم اليوم الجالبة أو المهاجرين .

(٢) الديوان ص ٢٦ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧ - ٢٤٠ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ . والتغر البلاد الواقعة على حدود الروم .

(٤) الأغاني ١٣ - ١٥ طبعة الساسي .

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٥ ص ٩٨ مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق . والنجوم الزاهرة ٢ - ٢٤٣ .

(٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ .

(٧) ديوان أبي تمام الطائي ص ٢٧٢ (طبعة بيروت) .

(٨) ديوان أبي تمام الطائي ص ٣٩٥ (طبعة بيروت) .

سنة ١٨٨ أو قبلها بيسير ، وذلك لان التوكل لما غضب عليه في حدود سنة ٢٣٨ كان عمره يناهز (١) الحسین ، فلا نكون بعيدین عن الصواب في تقديرنا هذا ويقال ان دایته أم ابراهيم الحربي (معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٨٦) .

ولما بلغ السن التي يذهب بها الصغار إلى الكتّاب ، بدأ يذهب كل يوم من داره في شارع دُجَيْل (٢) ببغداد إلى كتّاب في الحي يجمع بين صغار الصبيان والبنات . وكان علي حسن الوجه ذكي الفؤاد كثير النشاط ، ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته ، فكان يَسْعُرُ البيتَ وثباً وقفراً ولعباً وضجيجاً ، حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته ، فسأل أبوه معلم الكتّاب يوماً أن يحبسه في الكتّاب . فلما رأى علي رفاقه ينصرفون إلى دورهم وهو محبوس ، ضاق صدره فأخذ لوحه وكتب فيه إلى أمه (٣) :

يَا أُمّاً أَفْدِيكَ مِنْ أُمٍّ أَشْكُو إِلَيْكَ فِظَاظَةً « أُلْجُمُ »

قَدْ سَرَّحَ الصَّبِيَّانُ كُلَّهُمُ وَبَقِيْتُ مُحْصُوراً بِلَا جُرْمِ

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان . قال علي : « وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلتُ إلى أبي : والله لئن لم تطلقه لأخرجنَّ حاسرةً حتى أطلقه » .

ومن حوادثه في الكتّاب أن أخذ لوحه يوماً وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه (٤) :

مَاذَا تَقُولِينَ فِيمَنْ شَفَعَهُ سَهْرٌ مِنْ جَهْدِ حُبِّكَ حَتَّى صَارَ حَيْرَانًا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جداً ولعله كان دون عشر سنوات من عمره . لا نعلم على من قرأ بعد أن يقع وانقطع عن الكتّاب ، ولكننا نعلم أنه نشأ في أسرة جمعت بين العلم والأدب والشرف والوجاهة والثراء ، فقد كان أخوه

(١) الأغاني ١٠ - ٢١١ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ - ٣٦٩ وابن خلكان ١ - ٤٤١ ؛ ومختصر طبقات الخبابة

ص ١٦٥ وعبود التواريخ لابن شاذكر الكندي ٦ - ١٧٤ والمختار من شعر بشار بن برد ص ١٧

(٣) تكملة الديوان ق ٩٠ ص ١٨٠ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥١

والأغاني ١٠ - ٢١٧

(٤) تكملة الديوان ق ٩٧ ص ١٨٤ .

ديوان علي بن الجهم

الأكبر محمد مولماً بالكتب وقراءتها يروي عنه الجاحظ أشياء في هذا الشأن ، وكان معدوداً من كبار المتكلمين جمع بين ثقافتني العرب واليونان ، يجادل الزنادقة في مجالس المأمون (١) ؛ قال عنه ابن قتيبة : « مصححه كتب ارسططاليس في السكون والفساد والسكران وحدود المنطق بها يقطع عمره (٢) » وكان واسع الرواية لأشعار العرب .

في هذه البيئة الفاضلة نشأ علي ولكنه — وقد خلق شاعراً — انصرف إلى الثقافة العربية عن الثقافة اليونانية ، ووهب نفسه للشعر ، ومال عن مذهب أهل الجدل من المعتزلة إلى مذهب أهل الحديث الذين يمثلون الفكر العربي في فهم الدين ، فكان يختلف إلى الإمام أحمد بن حنبل ويسأله مسائل في القدر والصفات وما مائل ذلك (٣) . وكان يختلف إلى قبة الشعراء في المسجد الجامع ببغداد ، وكانت أشبه بنادر يجتمع فيه الشعراء كل جمعة ، يتناشدون ما يقولونه من الشعر أسبوعاً فأسبوعاً ، ويحسن أن نستمع إلى علي نفسه يحدثنا بأخبار تلك القبة ، قال :

« كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ، ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها ، فيينا أنا في جمعة من تلك الجمع ودُعِيتُ (٤) وابن أبي (٥) الشيص وابن أبي فتن (٦) ، والناس مجتمعون يسمعون إنشاد بعضهم بعضاً ، أبصرت شاباً في أخريات الناس جالساً في زي الأعراب . فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده ،

(١) ذكره الجاحظ وروى عنه كثيراً في البيان والبيان والحيوان والبخل . كما يشهد على ذلك فهرس الأعلام في الكتب المذكورة .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٩٠ .

(٣) مختصر طبقات الخبابة ص ١٦٤ .

(٤) دُعِيتُ بن علي الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦) شاعر مجيد هجاء أرسله من الكوفة وأقام ببغداد .

(٥) عبد الله بن أبي الشيص شاعر ابن شاعر كانت به لوثة لقبلة السوداء عليه ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٧٣ .

(٦) أبو عبد الله أحمد بن أبي فتن شاعر مطبوع ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٨٨

التفت الشاب إلينا وقال : قد سمعت إنشادكم منذ اليوم فاسمعوا إنشادي ، فقلنا هات فأنشد :

فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلٌ^(١)

ثم مرّ فيها منشداً حتى أتى إلى قوله :

تَفَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ
فَعَدَّ ابْنُ أَبِي الشَّيْصِ عِنْدَ هَذَا الْبَيْتِ خَنْصَرَهُ ، ثُمَّ مَرَّ فِيهَا الشَّابُّ إِلَى أَنْ
أَتَى عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ أَنْشَدَ قَصِيدَةَ أُخْرَى ، قُلْنَا لَهُ : أَيُّهَا الشَّابُّ لِمَنْ هَذَا الشُّعْرُ ؟
فَقَالَ لِمَنْ أَنْشَدَكُمُوهُ ، قُلْنَا لَهُ : نَاشِدُنَاكَ اللَّهَ مِنْ تَكُونُ ؟ فَضَحَكَ وَقَالَ : أَنَا
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي ؛ فَرَفَعْنَا مَجْلِسَهُ حِينَئِذٍ وَعَظَمْنَا تَعْظِيماً كَبِيراً وَاشْتَدَّ إِعْجَابُنَا بِهِ
لِدِمَائِهِ أَخْلَاقُهُ وَفَصَاحَةُ مَنْطِقِهِ وَجُودَةُ شِعْرِهِ . ثُمَّ إِنِّي مَا عَرَفْتُ عَقْدَ خَنْصَرِ ابْنِ
أَبِي الشَّيْصِ ، هَلْ كَانَ إِعْجَاباً بِهِ مِمَّا سَمِعَ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْبَدِيعِ الْمَرْقُصِ ، أَوْ أَخَذَ
عَلَيْهِ فِي إِسْكَانِ الْيَاءِ فِي قَوْلِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ^(٢) »

ومنذ ذلك الاجتماع انعدت أواصر الصداقة والمحبة بين علي بن الجهم وبين
أبي تمام الطائي ، وأعجب كل بصاحبه ، وأعرب له بشعره عما يكتنه له من الود ،
وبقيا متحابين حتى فرق بينهما الموت ، من ذلك قصيدة لأبي تمام ودّع بها علي بن
الجهم وقد أراد سفرأ وأولها^(٣) :

هِيَ فِرْقَةٌ مِنْ صَاحِبِ لَكَ مَا جِدَّ فَعَدَّ إِذَا بَعْدَ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ
وَلَهُ فِيهِ إِضَاحٌ قَصِيدَةُ أُولَها^(٤) :

بِأَيِّ نَجْوَمٍ وَجْهَكَ يُسْتَضَاءُ أَبَا حَسَنِ وَشِمَّتَكَ الْإِبَاءُ
وَبَقِيَ مِنْ شِعْرِ عَلِيٍّ فِي أَبِي تَمَّامٍ آيَاتٌ يَرْتِيهِ بِهَا أُولَها^(٥) :

غَاضَتْ بِدَائِعُ فِطْنَةِ الْأَوْهَامِ وَعَدَّتْ عَلَيْهَا نَكْبَةُ الْأَيَّامِ

(١) المَذِلُ : الذي لا يكتم السر . وانظر القصيدة في ديوان أبي تمام الطائي ص ٢٢٦

(٢) شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ص ٢٢٥ . وانظر قبة الشعراء في معاهد التنصيص ص ٢٩-٢٨

(٣) ديوان أبي تمام الطائي ص ٨٦ . وانظر هذا الخبر في تهذيب تاريخ

(٤) « « « « ص ٣٩٤ . ابن عساکر ج ٤ ص ١٩ .

(٥) تكملة ديوان ابن الجهم ق ٩١ ص ١٨١ .

ديوان علي بن الجهم

وفي خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨) أخذ اسم علي بن الجهم يشتهر بالشعر ، وروى الناس شعره حتى بلغ المأمون . قال محمد بن الجهم « دعاني المأمون يوماً فقال : قد نبغ لك أخ يقول الشعر فأنشدني له ، فلم أذكر إلا قوله في الكلب :

أوصيك خيراً به فإنَّ له سَجِيَّةً لا أزالُ أحمدها
يدلُّ ضيفي عليَّ في غسقِ اللَّيْلِ إذا النَّارُ نامَ موقدها

فقال أحسن الموصي بالكلب وأمر لي بمال (١) »

واستحسن المأمون أيضاً أبيات علي في الشطرنج التي أولها :

أَرْضٌ مُرَبَّعَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ مَا بَيْنَ الْفَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ بِالْكَرَمِ (٢)

وكان يكثر من إنشادها والتمثل بها حتى نسبت إليه :

ويروى عن علي بن الجهم أنه سافر إلى خراسان والثغور والجال ومصر والشام وأقام في كل منها مدة (٣) ، والمظنون أنه بدأ بأسفاره هذه في أواخر خلافة المأمون . وذكر عن علي بن الجهم أنه تولى مظالم حلوان (٤) ، ونرجس بل نكاد تقطع بأن ولايته هذه كانت في خلافة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧) ويدلنا على ذلك أن علياً نفسه قال : « كنت أتولى مظالم حلوان وكان الحارثي يجيء إليها ، فأتاني مرة وظهر كوكب الذنب في تلك الليلة فقلت :

لَمَّا بَدَأَ أَيَقْنَتُ بِالْعَطَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعَا إِلَّا لِأَبْدَةِ الْحَارِثِيِّ وَكَوْكَبُ الذَّنَبِ (٥)

وهذا الكوكب المذنب الذي ذكره على سبيل الدعابة ظهر (٦) في سنة ٢٢٢

(١) وبيع الأبرار للزحشري ج : ورقة ١٨٧ مخطوط في دار الكتب الظاهرية . وانظر

تكملة الديوان في ٣٧ ص ١٣٠ .

(٢) تكملة الديوان في ٨٨ ص ١٧٩ .

(٣) الأغاني ١٠ - ٢١١ .

(٤) حلوان العراق : في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد .

(٥) الأغاني ١٠ - ٢١٠ وتكملة الديوان في ١٨ ص ١١٣ .

(٦) قال ابن الأثير في الكامل ٦ - ١٦١ « وفي سنة ٢٢٢ ظهر عن يسار القبة

كوكب فبقى يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم روي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جداً فقال الناس ذلك وعظم عليهم » .

كما ذكر ذلك ابن الأثير ، وإلى هذا الكوكب أشار أبو تمام لطائي بقوله :
وَحَوِّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلَمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكُوكَبُ الرَّبِّيُّ ذُو الذَّنَبِ
ولعلي بن الجهم قصيدة يهني بها المعتصم بفتح عمورية بعد أن ظفر بالخارجين
على سلطانه مثل بابك الخرمي ومازيار بن قارن ومحمد بن عثمان صاحب الزرط
هي فاتحة الديوان (١) .

وفي خلافة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢) نسمع لعلي في مدحه تنفأ من الشعر
هي أشبه بالأغاني والأناشيد قليلة عدد الأبيات قصيرة الأوزان (٢) ، لا تدل على
ارتباح نفس أو انشراح صدر ، ولعل مرده ذلك لشدة الوان على أهل الحديث . وفي
هذه المدة أعلن علي بن الجهم كرهه لوزير الواثق محمد بن عبد الملك الزيات
فهباه (٣) أقبح هجاء ولم يخش صولته ولا جبروته .

وفي خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧) تكثر أخبار علي بن الجهم وتتوالى ،
وأكثر ما بقي من شعره قاله في التوكل أو في زمنه .
كان التوكل أمل ابن الجهم الذي طالما نشده ، خليفة أظهر خصائصه الوداعة
والكرم ، يرى رأي أهل السنة وأصحاب الحديث ، ويرتاح للشعر ويؤثر مجالسة
الأدباء ، وهذا غاية ما يتعمه وفي ذلك يقول :

قَالُوا أَتَاكَ الْأَمَلُ الْأَكْبَرُ وَفَازَ بِالْمَلِكِ الْقَتِي الْأَزْهَرُ

وَاکْتَسَتِ الدُّنْيَا جَمَالاً بِهِ فَقَلْتُ قَدْ قَامَ إِذَا «جَعْفَرُ» (٤)

وبعد أن تمت بيعة المتوكل قام علي بن الجهم في مجلسه وأند قصيدة هي أشبه
بما يسمونه اليوم « خطاب العرش » فصّل فيها سياسة المتوكل في الدين والدولة وأهلل
وقائل أيُّهُمَا أَنْوَرُ الشَّمْسُ أَمْ سَيِّدُنَا «جَعْفَرُ» (٥)

(١) الديوان في ١ ص ٣ .

(٢) الديوان من ص ١٣ إلى ص ١٧ وتكملة الديوان في ١٠٥ ص ١٨٨ .

(٣) تكملة الديوان من ص ١١٨ إلى ص ١٢٠ .

(٤) الديوان في ٨ ص ٢٦ .

(٥) الديوان في ٢٣ ص ٧١ .

ديوان علي بن الجهم

غمز فيها المعتزلة وغيرهم ممن سمام أهل الأهواء . وكان في المجلس قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد وهو من أئمة المعتزلة فأطرق استنكاراً .

وقرَّبَه التوكل واتخذَه جليساً ونديماً وجعله من خاصة ندمائه ، وكان يرسله في حاجاته ، ويفضي إليه بأسرارِهِ ويثق به ويأنس بمجالسته منفرداً ومع الندماء ، ويطلعه على أموره الخاصة بينه وبين حَظِيَّاتِهِ وجواريهِ ، ويدعوه نهائراً كما يدعوه ليلاً ، وقد يأمر بإيقاظه من منامه ليُوح إليه بشيء من ذات نفسه . وأخبره في هذا الشأن غير قليلة تدل على ذكاء وفطنة وسرعة خاطر .

وكان ينادم التوكلَ مع علي بن الجهم ويسمر عنده في الليل جماعة منهم البحتري والحسين بن الضحاك ومروان بن أبي الجنوب وأحمد بن حمدون وبختيشوع بن جبرائيل الطيب فضلاً عن الغنين والتميان والمضحكين ، وكان ابن الجهم يتعالى عليهم ويراهم دونه ، فاتفقوا عليه وهجاه من شعرائهم البحتري (١) ومروان بن أبي الجنوب (٢) وكادوا له وسعوا به لدى التوكل ، وزعموا أنه يجمّش خدم القصر ويفغمزهم ، فتغير قلب التوكل عليه بعد أن كان مستودع سره نحواً من سبع سنين ، وأمره بأن يلزم داره . ففعل وانقطع عن القصر .

ولكن الندماء لم يقفوا عند هذا الحد ، فزعموا أنه كثير الطعن على الخليفة والعيب له والإضرار على أخلاقه ، فغضب التوكل وأمر بحبسه ، فكان أول ما قال في الحبس قصيدة كتب بها إلى أخيه ليوصلها إلى الخليفة أولها :

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ (٣)

يظهر فيها تجلداً ويهجو خصومه ويعلن استمرار إخلاصه للخليفة بقوله :
أَنَا الْمُتَوَكِّلِيُّ هَوَى وَرَأْيَا وَمَا بِالْوَائِقِيَّةِ مِنْ خَفَاءِ
وَمَا حَبْسُ الْخَلِيفَةِ لِي بَعَارٍ وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسِي مِنْهُ التَّنَائِي
فرقاً له التوكل وكاد يأمر بإطلاقه ، ولكن الندماء تألبوا عليه وانتدب له

(١) انظر ديوان البحتري طبة الجواب ج ٢ ص ٨١ و ٩٩ و ١٠٧ .

(٢) الأغاني طبة الساسي ١١ - ٣ .

(٣) الديوان ق ٢٥ ص ٨١ .

المقدمة

مروان بن أبي الجنوب فعارضه بقصيدة يرد بها عليه وأنشدها في مجلس التوكل ، فاعتورته ألسنة الجلساء وتلبوه واغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في حبسه (١) . وما زالوا يسعون به حتى أمر الخليفة ان يقيد في حبسه . وفي ذلك يقول :

فلا تجزعي إماماً رأيت قيوده فإن خلا خيل الرجال قيودها (٢)

وكانوا يتوسلون بأنواع الحيل ليحولوا دون إطلاقه من السجن ، وفي هذا الخبر الذي يرويه صاحب الأغاني عن عبد الله بن العز وصف لمبلغ احتياهم على الإيقاع به قال (٣) :

« لك حبس أمير المؤمنين التوكل علي بن الجهم ، وأجمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه ، وهي :

عفا الله عنك ألا حُرمة تُعودُ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها الى بيدون الخادم ، فدخل بها الى قبيحة وقال لها : ان علي بن الجهم قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعز وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها اليه ، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه . فقال له : ما معك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إليّ أمي . فقرأها التوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله - فديته - خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يرد ، ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

فلا عُدْتُ أعصيك فيما أمرت إلى أن أحلّ التريُّ مُلحدا
وإلا فخالفت ربَّ السماء وخُنتُ الصديقَ وعِفْتُ الندى

(١) الأغاني طبعة الساسي ١١ - ٤ .

(٢) الديوان ص ٥١ .

(٣) الأغاني ١٠ - ٢٣٠ .

وَكُنْتُ كَعَزُونِ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍ مُبِيحِ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا

وثب ابن حمدون وقال للمعتز : يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنت ! تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجائنا !! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلب ابن حمدون قوله :

وَكُنْتُ كَعَزُونِ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍ مُبِيحِ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا

فجعل ينشداهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويضجون والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقع باطلاقه ونسيه . فقالوا لابن حمدون : ويا لك ! تعيد هجاءنا وشتمنا !! فقال : يا حمته والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقع في إطلاقه ووقعنا معه في كل ما نكره .

وله في الحبس قصائد عدة أحسنها قصيدته البارعة التي لم يقل مثلها وأولها :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُفْعَدُ (١)

وفي كل ما قال لم يظهر جزءاً ولا هلعاً ، ولم يتغير إخلاصه للخليفة ، ولم يكف عن هجاء خصومه ومقارعتهم .

ولم يشتف خصومه بكل ما ناله من أذى فأبلغوا المتوكل عنه أنه هجاه (٢) فأمر بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان بعد أن لبث في السجن سنة (٣) ، وكتب إلى أمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر بأن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه وكان ذلك (٤) سنة ٢٣٩ . فلما وصل إلى الشاذليخ (٥) حبسه طاهر بها ثم أخرج فصلب

(١) الديوان ق ١٤ ص ٤١ .

(٢) الأغاني ١٠ - ٢٠٨ .

(٣) الأغاني ١٠ - ٢٠٦ .

(٤) الطبري ١١ - ٤٩ وابن الأثير ٧ - ٢٣ . ولا يعبأ بالقول الضعيف الذي يذكره

بعض المؤرخين مع هذا القول من أن نفيه كان سنة ٢٣٢ .

(٥) الشاذليخ : من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان .

يوماً إلى الليل محمّداً من ثيابه ثم أنزل إلى الحبس . وله في ذلك قصيدة من جيد الشعر أولها (١) :

لَمْ يَنْصُبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ مَغْمُوراً وَلَا مَجْهُولاً
وفيها يشير إلى مصادرة أمواله وما ناله من الظلم والعسف دون أن يظهر عليه شيء من الحور . وكتب إلى طاهر بن عبد الله من الحبس أياتاً أولها (٢) :
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فلي حُرْمَةٌ وَالْحَقُّ لَا يَدْفَعُهُ الْبَاطِلُ
وهي إلى التنديد أقرب منها إلى التظلم .

ولبت في سجن طاهر بالشاذياخ — ولا ندري كم لبث — إلى أن كتب التوكل إلى طاهر بإطلاقه ، فلما أطلقه قال (٣) :

أَطَاهِرُ إِنِّي عَنْ خُرَاسَانَ رَاحِلٌ وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلُ
فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا خيراً ووصله وحمله وكساه . وبقي مع طاهر مدة يحضر مجالسه ويسمر عنده ويخرج معه إلى الصيد وله في ذلك أشعار تشير إلى كل ما ذكر (٤) .

خرج من السجن وخلص من تلك المحنة الشديدة وقد اسودَّ رأيه في الناس والحياة فزهد بها ، ورأى أنه لم يبق له صديق ، وأنه إن كان في الناس من يوثق به ويعتمد عليه فقد مات ، فصار يذهب من حين إلى آخر وهو في خراسان إلى المقابر ويجلس بها منفرداً . قال صاحب الأغاني : « رأى رجل من أهل خراسان علي بن الجهم بعدما أطلق من حبسه جالساً في المقابر ، فقال له : ويحك ! ما يجلسك ههنا ؟ فقال :

يَشْتَاقُ كُلَّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالْوَطَنَ

(١) تكملة الديوان ق ٨٢ ص ١٧١ .

(٢) تكملة الديوان ق ٧٨ ص ١٦٩ .

(٣) تكملة الديوان ق ٧٤ ص ١٦٦ .

(٤) انظر تكملة الديوان ق ٢٣ ص ١٢٠ و ق ٢٦ ص ١٢٢ .

وليس لي وطنٌ أُمسيتُ أَذْكَرُهُ إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ صَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا» (١)
وما نظن أن مدة إقامته في خراسان بعد أن أُطلق من سجنه كانت طويلة ،
فعاد إلى داره في شارع دجيل ببغداد ، ولعل ذلك كان سنة ٢٤٠ أو بعدها بقليل .
عاد إلى بغداد ولكنه لم يذهب إلى سامراء لمناذمة المتوكل ، ولم تبق له تلك
المنزلة التي كانت له عند الخليفة ، فانصرفت عنه الوجوه وتكر له الناس بعد أن
كانوا يتوسلون اليه ، فازداد رأيُه سوءاً في الناس والحياة . وله قصيدة ترجَّح أنه
قالها في هذه الفترة من حياته يقول فيها :

وَأُنْكَرَ إِغْفَالَ الْعِيُونِ مَكَانَهُ وَقَدْ كُنَّ مِنْ أَشْيَاعِهِ حَيْثُ يَمَّا (٢)
عَزَاءً عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي فَاتَ نَيْلُهُ وَصَبْرًا إِذَا كَانَ التَّصَبُّرُ أَحْزَمًا
خَلِيلِي كَرًّا ذِكْرُ مَا قَدْ تَقَدَّمَ وَإِنْ هَاجَبَ الذِّكْرُ فُؤَادًا مُتَمِيمًا
فَإِنَّ حَدِيثَ اللَّهِ لَهْوٌ وَرُبَّمَا نَسَلِي بِذِكْرِ الشَّيْءِ مَنْ كَانَ مُفْرَمًا
خَلِيلِي مِنْ فَرَقِي قُرَيْشٍ رَزِيئُهَا فَتَى قَارِعَ الْأَيَّامِ حَتَّى تَشَلَّمَا
وَأَحْكَمُهُ التَّجْرِبُ حَتَّى كَأَنَّمَا يُعَايِنُ مِنْ أَسْرَارِهِ مَا تَوَهَّمَا
إِذَا رَفَعَ السُّلْطَانُ قَوْمًا تَرَفَّعُوا وَإِنْ هَدَمَ السُّلْطَانُ مَجْدًا تَهَدَّمَا

وقاده سوء رأيُه في الناس وزهده بالحياة إلى السخر منهما ، فصاحب أهل الفتوة في بغداد
يتلهم معهم بالاختلاف إلى بيوت القِيَّان ، والاسترسال باللهو وخلع العذار في
في الإقبال على المحبون والعبث . قال صاحب الأغاني : « كان علي بن الجهم يعاشر
جماعة من فتيان بغداد لما أُطلق من حبسه ورُدَّ من النفي ، وكانوا يتقايئون ببغداد
ويلزمون منزل مقيَّنين بالكركرخ يقال له المفضَّل (٣) » وله في وصف هذا المنزل

(١) انظر تكملة الديوان ق ٩٦ ص ١٨٤

(٢) الديوان ص ١٨ .

(٣) الأغاني ١٠ - ٢١٩ .

وما فيه من أنواع اللهو والإغراء والفتنة قصيدة فريدة في معناها أولها (١) :

تَرَكْنَا بِيَابَ الْكَرْخِ أَطْيَبَ مَنْزِلٍ عَلَى مُحْسِنَاتٍ مِنْ قِيَانِ الْمُفْضَلِ
وهكذا عاش ببغداد — بعد عودته من خراسان — مع القتيان من أصحاب
النبيذ والقيان نحواً من سبع سنين حتى كان مقتل التوكل سنة ٢٤٧ بتدبير ابنه
المتنصر . لحزن عليه حزناً شديداً بل مُجَنَّ جنوناً ، وتناسى كل أذية أصابته من
التوكل إقصاءً وحسباً ومصادرة أموال ونفياً وصلباً . ورناءه بقصيدة طويلة لم يرث
التوكل بمنزلها تفجماً وصدقاً لهجة ، بدأها بوصف سحابة نشأت في سماء العراق
فجأت العراق وأهله ، وأغاثت السهل والجبل ، وأفاضت الخير والبركة ، حتى هبت
ريح عاتية ، فذهبت بها أخوج ما يكون الناس إليها . هكذا بدأ قصيدته ، ثم كأن
هذا الرمز لم يشف أوامه في التعبير عن فداحة الخطب ، ومبلغ حزنه ، فتخلص
من السكينة إلى التصريح ، وبكى الخليفة الشهيد أحر بكاءً ، وأنكر على القتلة
الباغين ، وشنَّع على رجال الدولة الذين لم يدافعوا عن الخليفة . وأول هذه القصيدة :
وسارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضًا بِجُودِهَا شَفَلَتْ بِهَا عَيْنًا قَلِيلًا هُجُودُهَا (٢)

هذه الحادثة نقلت نفس الشاعر إلى طور جديد من الحياة ولكنه رهيب ،
كان قبلها سيء الرأي بالناس وحياتهم ، وكان يعالج ذلك بالسخر منها ، فيصاحب
القتيان ويغشى معهم بيوت القيان ويعاقر وإياهم بنت الحان . ولكنه بعد مقتل
التوكل يئس من الناس ومن الحياة ، وبدأ يلتمس السبيل للتخلص منها . ولكن
كيف ؟ ومتى ؟ .. بالجهد ؟ ولو بلغ الستين من عمره .

في صفر سنة ٢٤٩ شاع في بغداد خبر هاج له الناس وشغب الجند ، وذلك أن
قائدين من أعظم قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبيد الله وعلي بن يحيى قتلا مع
عدد عظيم من جنودهما في غزو الروم ، وأن الروم بعد مقتلها كلبوا على الثغور
الجزرية ، وعلى أموال المسلمين وحرّمهم . فهبَّ الناس في بغداد وسامراء وأقبلت

(١) الديوان ق ١٧ ص ٥٢ .

(٢) انظر الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .

ديوان علي بن الجهم

المتطوعة من نواحي الجبال وفارس والأهواز ، وأخرج أهل اليسار أموالاً فرقوها فيهم ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الزوم (١) .

وخرج علي بن الجهم في قافلة قاصداً الثغر ، فلما كانوا في خُصاف (٢) ، خرج عليهم نفر من الأعراب الكليين ، فهرب من كان في القافلة من المقاتلة ، وثبت علي فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظوا منه بشيء ، وله في ذلك قصيدة يصف بها بلاءه الحسن في تلك الواقعة أولها :

صبرتُ ومثلي صَبْرُهُ ليس يُنْكَرُ وليس علي تَرْكُ التَّقَحُّمِ يُعْذَرُ (٣)
فلما كان من غد خرج على القافلة منهم خلق كثير ، فسرعت إليهم المقاتلة ،
وخرج علي فيهم فأصابته طعنة قتلته ، فاحتمله أصحابه وهو ينزف دمه ، فلما أحسنَ
بالموت جعل يقول (٤) :

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلُ
يَا إِخْوَتِي بِدُجَيْلٍ (٥) وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ
فأبكى كلَّ من كان في القافلة ومات مع السحر ، ووجد معه رقعة حين
نزلت ثيابه (٦) بعد موته فيها قوله :

وَأَرْحَمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّأْ زَحْ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا (٧)
ودفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب (٨) .

(١) انظر ابن الأثير ٧ - ٣٨ .

(٢) خُصاف : برية بين بلس وحلب (معجم البلدان) .

(٣) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣١ .

(٤) تكملة الديوان ق ٨٠ ص ١٧٠ .

(٥) كان منزل علي بن الجهم في شارع دجيل ببغداد .

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١ - ٣٦٩ .

(٧) تكملة الديوان ق ٦٢ ص ١٥٤ .

(٨) الأغاني ١٠ - ٢٣٤ .

المقدمة

وفي شعبان سنة ٢٤٩ ورد على الخليفة الستمين كتاب صاحب البريد بحلب :
أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو ، فخرجت عليه وعلى جماعة
معه خيل من كلب ، فقاتلهم قتالاً شديداً (١) وقتل .

ويقول السعودي : وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال :

أُرِيقِي الدَمْعَ واجتَنِبِي الهُجُوعَا وَصُونِي شَمْلَ وَجَدِكَ أَنْ يَضِيْعَا
وَقُولِي إِنَّ كَهْفَ بَنِي لُؤَيٍّ غَدَا بِالشَّامِ مُنْجِدِلًا صَرِيْعَا
عِزَاءَ يَا بَنِي جَهْمِ بْنِ بَذْرِ قَدْ لَاقَيْنُمُ خَطْبًا فُظِيْعَا
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَذَرِي الْمَنَايَا بِمَا لَاقَيْنُمُ لَبَكَّتْ نَجِيْعَا
ثَوَى كَهْفِ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَمَنْ كَانَ الزَّمَانُ بِهِ رَبِيْعَا
فَتَى كَانَ السَّهَامَ عَلَى الْأَعَادِي وَلَكِنَّا دُونَ حَادِثَةٍ مَنِيْعَا (٢)

ورجَّح أن علي بن الجهم لم يُعَقِّبْ وكذا ، فليس في أخباره ما يشير إلى
أن له نسلًا ، وليس في شعره الذي قاله في حبسه ومنفاه وغربته وتشوَّق به إلى
وطنه وإخوانه وأحبابه ، ذكر لولده ، وأولاد المرء أولى من يُذكر في مثل تلك
الأحوال والمواطن .

(١) تاريخ بغداد ١١ - ٣٦٩ .

(٢) مروج الذهب ٢ - ٢٧٥ .

علم وأدب

نشأ علي بن الجهم في أخريات القرن الثاني وفجر القرن الثالث ببغداد ، وبغداد في ذلك الزمن حاضرة الدنيا علماً وأدباً وحضارة ، وربّي في بيت علم وفضل . فقد كان أخوه الأكبر محمد بن الجهم من أنداد الجاحظ ، جامعاً بين ثقافتيّ العرب واليونان ، معدوداً من فلاسفة المتكلمين وأهل الجدل ، واسع الرواية للأدب ، يجالس المأمون ويناظر الزنادقة بحضرته ، وله مجلس مع المأمون يدل على سعة روايته للشعر ذكره صاحب الأغاني (١) وقد كان الجاحظ يكثر من ذكره والنقل عنه في كتبه (٢) .

وفي هذه البيئة الزاخرة بالعلم والأدب نشأ علي بن الجهم ، ومنه يطالع شعره يجده يذكر العلم ويتمدح به ويذم الجهل بأساليب مختلفة من ذلك قوله : (٣) .

إِذَا لَمْ يَشِبْ رَأْسٌ عَلَى الْجَهْلِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْمَرْءِ عَارٌ أَنْ يَشِيبَ وَيَهْرَمَا
وقوله (٤) :

لَمْ تَنْقُصُوهُ وَقَدْ مَلَكَتُمْ ظُلْمَهُ مَا النَّقْصُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهُولًا

ولكن وجهته في الثقافة لم توافق وجهة أخيه محمد في كل شيء ، فخلق علي شاعراً فانصرف إلى رواية شعر العرب والمحدثين ، وصحب شعراء بغداد ، وغيرهم من الطائرين عليها ، وكان يختلف إلى قبة الشعراء في المسجد الجامع ببغداد ، ينشد شعره ويسمع وينتقد (٥) . ولم تستهوه الفلسفة اليونانية ، ولا مال إلى مذهب المعتزلة في الجدل والمناظرة وتحكيم الرأي ، بل اتبع مذهب أهل الحديث الواقفين عند الكتاب والسنة ، وكان يزور الإمام أحمد بن حنبل ويسأله مسائل في القدر

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في الحاشية رقم (٤) ص ٤ من المقدمة .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في الحاشية رقم (١) ص ٦ من المقدمة .

(٣) الديوان ص ١٩ .

(٤) الديوان ص ١٧٣ .

(٥) سبقت الإشارة إلى ذلك في ص ٦ من المقدمة .

* وصحب الكتب وأحب مطالعتها وأنس بمسامرتها ، يدل على ذلك قوله

في وصف الكتاب : (انظر ص ٢٥٩) .

والصفات . وفي شعره شواهد كثيرة يظهر فيها أثر الكتاب والسنة ، ولا أثر فيها لما كان شائعاً في عصره من المذاهب الفلسفية أو الثقافة الأجنبية التي كانوا يسمونها علوم الأوائل ، إلا من باب الإشارة على سبيل الرد والتسفيه .

ومها يكن ثقافته الأدبية هي التي يعتد بها ، فقد كان عالماً بالشعر وفنونه قديمه ومحدثه ، واسع الرواية له ، بصيراً بنقده ، يفاضل بين الشعراء ويحكم بينهم .

قال أبو بكر الصولي : « حدثني محمد بن موسى قال : سمعت علي بن الجهم ذكر دُعْبَلًا فكفره ولعنه ، وطعن على أشياء من شعره ، وقال : كان يكذب على أبي تمام ، ويضع عليه الأخبار ، ووالله ما كان إليه ولا مقارباً له ، وأخذ في وصف أبي تمام ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك له ، فقال : إلا يكن أخاً بالنسب ، فإنه أخ بالأدب والدين واللودة ، أما سمعت ما خاطبني به :

إِنْ يُكَدِّ مُطَرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَفْدُو وَنَسْرِ فِي إِخَاءِ تَالِدِ
أَوْ يَخْتَلِفُ مَا هِ الْوَصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبُ تَحْدَرُ مِنْ نَحَامِ وَاحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبُ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبُ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ * »

وقال أبو بكر الصولي : « سمعت أبا إسحق الحرابي يقول : كان علي بن الجهم من كلمة الرجال . وكان يقال : علمه بالشعر أكبر من شعره . فانظر إلى تفضيل هذا الرجل لأبي تمام ، مع تقدمه في الشعر والعلم به (١) » .

وقال أبو بكر الصولي : « ويصحح علم علي بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال ، قال لي البحرني : دعاني علي بن الجهم ففضيت إليه ، فأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السُّلَمي ، فقال لي : إنه يُخْتَلِي ، وأعادها مرات ولم أفهمها ، وأنفت أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت فكرت في الكلمة ، ونظرت

(١) أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي ص ٦١ و ٦٢ .

* وانظر هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٣ .

ديوان علي بن الجهم

في شعر أشجع السُّلَمي ، فإذا هو ربما مرّت له الأبيات مغسولةً ليس فيها بيت رائع ، وإذا هو يريد هذا بعينه ، أنه يحمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت نادر ، كما أن الراعي إذا رمى برشقه فلم يصب فيه شيء قيل أخلى . قال : وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر (١) .

وفيما بقي من بعض أخباره مع التوكل والفتح بن خاقان ما يدل على ثقافة أدبية واسعة ، وحسن تصرف (٢) بها .

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص ٦٣ وانظر أيضاً كتاب الأوراق له قسم أخبار الشعراء ص ٨١ والموشح لمرزباني ص ٢٩٥ .
(٢) انظر ترجمة الفتح بن خاقان في معجم الأدباء لياقوت ٦ - ١٢٠ .

صفته وأمهورة :

كان علي بن الجهم وسم الوجه حسن الجسم فارساً شجاعاً ، أشار إلى وضاء وجهه أبو تمام الطائي بقوله (١) :

بَأْيِّ نَجُومٍ وَجْهَكَ يُسْتَضَاءُ أَبَا حَسَنِ وَشَيْمَتَكَ الْإِبَاهُ
ويشير البحري إلى سحر جماله بقوله (٢) :

يَا عَيْتِي بَلْ يَا أَبَا الْحَسَنِ الْمَا لَكَ رِقَّ الظَّرِيفَةِ الْحَسَنَاءُ
وعلي نفسه يشير إلى وسامة وجهه وحسن جسمه بقصيدته التي قالها لما صلب مجرداً من ثيابه بأمر التوكل (٣) :

نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عَيْنِهِمْ حُسْنًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبَجُّيلًا
مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِيَأْسُهُ فَالَسَيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا
إِنْ يُبْتَدَلْ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمَّةً مَبْدُولا
لَنْ نَسْلُبُوهُ — وَإِنْ سَلَبْتُمْ كُلَّ مَا خَوَّلْتُمُوهُ — وَسَامَةً وَقَبُولًا

جمع بين الثقافة والفتوة ، وقول الشعر والعلم به ، وأدب النفس وشرف النسب ، والثروة والجاه . سيفه ولسانه سواء في الصرامة والمضاء ، وكان إلى ذلك ديناً ، له رأي في الدين واضح ، يجاهر به ويدافع عنه ، وله رأي في السياسة واضح ثبت عليه مخلصاً له ، ولم تغير الأذية التي أصابه التوكل بها من رأيه في السياسة شيئاً . قال أبو بكر الصولي : « سمعت أبا إسحق الحربي يقول : كان علي بن الجهم من كلمة الرجال » .

وكان معتداً بنفسه ونسبه ، حسن المحاضرة والمفاكهة ، قوي العارضة ، يضطلع

(١) ديوان أبي تمام الطائي ص ٣٩٤ .

(٢) مطلع أبيات هـ البحري بها علي بن الجهم ؛ ديوان البحري طبعة الجواب ٢ - ٨٨ .

(٣) تكملة الديوان ص ١٧١ .

ديوان علي بن الجهم

بأفانين الحديث والسمر ، نادم المتوكل نحواً من سبع سنوات ، واطلع على ما لم يطلع عليه سواه من أسرار القصر ، وكان يطرف للتوكل بأطيب الحديث وأمتع السمر ، مع سرعة الجواب واستحضر الشاهد . قال : « وجهه إليّ أمير المؤمنين المتوكل ، فأتيته ، فقال لي : يا علي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الساعة في المنام ، فقلت إليه ، فقال لي : تقوم إليّ وأنت خليفة ؟ فقلت أبشر يا أمير المؤمنين ؛ أمّا قيامك إليه بقيامك بالسنة ، وقد عدك من الحلفاء . قال فسرّ بذلك (١) » .

وكان ظاهر النعمة مترفاً ، له خدم وعبيد وحجاب ، وفي داره عدد من حسان الإمام ، يجتمع فيها خاصة إخوانه وأصحابه ، فيعمرون مجالس الشعر والأدب والأنس والطرب ، وقد عاتبه مرة على شدة حجاب عبد الله بن أحمد فقال :

أَعْلَى دُونَكَ يَا عَلِيُّ حِجَابُ يُدْنِي الْبَعِيدُ وَيُحْجِبُ الْأَصْحَابُ

هَذَا بِإِذْنِكَ أَمْ بِرَأْيِكَ أَمْ رَأَى هَذَا عَلَيْكَ الْعَدُوَّ وَالْبَوَابُ

إِنَّ الشَّرِيفَ إِذَا أُمُورُ عَبِيدِهِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ مُرْتَابُ (٢)

وللبحتري آيات يشير بها إلى ما يكون في مجالس أنسه ، يستأنس بها ولو كانت على سبيل الهجاء (٣) .

وكانت فيه دعاية ، يقبل على اللذات ويعاشر القيان ويزورهن ويستزيرهن ، ويغازلهن ويعابهن ، وتتردد بينه وبينهن الرسائل ؛ وأخاره مع القيان وأخبار القيان معه كثيرة مذكورة في كتب الأدب . وفيما بقي من شعره شواهد على ذلك (٤) .

وكان إلى ذلك ميالاً إلى التحرش برجال الدولة والتمرس بهم ، خاصم الوزير

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧ - ١٧٠ وانظر في معجم الأدباء لياقوت ٦ - ١٢٠ . خبراً يدل على ترققه في استطاف المتوكل على الفتح بن خاقان . وانظر أيضاً تكملة الديوان ق ٦ ص ١٠٦ و ق ٤٢ ص ١٣٦ .

(٢) طراز المجالس ص ٨٣ .

(٣) ديوان البحتري طبعة الجواب ٢ - ٨٨ .

(٤) الديوان ق ٢٨ ص ٩١ وتكملة الديوان ق ١٤ ص ١١١ و ق ٣٨ ص

١٣٠ و ق ٤٨ ص ١٤٠ و ق ٥٩ ص ١٥٣ و ق ١٠٠ ص ١٨٥ .

الجبار محمد بن عبد الملك الزيات وهو في عفوان عزه وجبروته وهجاء كما هجا
أبا أحمد بن الرشيد وغيرهما من العطاء ، ولم يكذب يسلم من لسانه أحد من ندماء
التوكل ، مع ترفع عن منازلة غير الأكفاء .

على أن صاحب الأغاني كان منحرفاً عن علي بن الجهم متعصباً عليه ، لا يكاد
يروى من أخباره إلا ما يفض منه . روى قول من طعن على نسبه ودفعه عن
قريش ، ونال من الزبير بن بكار الذي صحح نسبه . وسمى مذهبه مذهب
الحشوية ، وبعل غضب التوكل عليه لسوء خلقه وتهتكه ، وجراته على هجاء أبي
أحمد بن الرشيد وغيره لأجل المال ، وروى قول من قال عن سبب تركه بغداد :
« لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشبهه وذكره كل أحد بسوء من صديقه
 وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام » ولم يرو ما ذكره الثقات
 كالطبري (١) وابن الأثير (٢) والخطيب البغدادي (٣) والمرزباني (٤) من أنه خرج من بغداد
 إلى الأعراسيا . ولم يكذب يذكر شيئاً من محاسنه . ووصفه بأنه شاعر فصيح مطبوع ،
 والشاعر الفصيح في اصطلاح أبي الفرج دون الشاعر الفحل ، وقال عن قصيدته
 التي لم يُقَلْ مثلها وأولها :

قالت حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُعْمَدُ

« أحسن شعر قاله في الحبس » وروى قول من قال - وفيه ما يؤهم التقرير -
 « ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد » على أن مقطعاً
 واحداً من قصيدة ابن الجهم خير من كل ما قاله عدي بن زيد من الشعر .

فكم بين هذه الأقوال التي يرويها صاحب الأغاني ، وبين قول أبي اسحق الحربي :
 « كان علي بن الجهم من كلمة الرجال » .

(١) تاريخ الأمم والملوك ١١ - ٨٦ .

(٢) الكامل ٧ - ٣٩ .

(٣) تاريخ بغداد ١١ - ٣٦٩ .

(٤) معجم الشعراء ص ٢٨٦ .

مذهب في الدين والسياسة :

قلّ في الشعراء من ترددت في شعره كلمة « الدين » كما ترددت في شعر علي بن الجهم ، فقد كان يفخر بالدين ويمدح به ويرى كل مصيبة دون مصيبة الإنسان في دينه قال :

إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَدَعَتْ دِينَهُ نَعَمْ وَإِنْ صَعِبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلًا
هَلْ تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيَقِينِهِ وَجَنَانِهِ وَبَيَانِهِ تَبْدِيلًا^(١)

وقال :

مصيبَةُ الإنسانِ في دينهِ أَعْظَمُ من جَائِحَةِ الدَّهْرِ^(٢)
قال عنه الخطيب البغدادي^(٣) وابن خلكان^(٤) وصاحب مرآة الزمان^(٥)
والصلاح الصفدي^(٦) وابن شاکر المکتبي^(٧) وصاحب طبقات الحنابلة^(٨) : « كان متديناً فاضلاً » .

أما مذهبه فمذهب أهل الحديث الذين يقفون عند ظاهر الكتاب والسنة ، يتشدد في تسننه ، وكان إمام أهل السنة في عصره الإمام أحمد بن حنبل فقال اليه علي بن الجهم وكان يتردد عليه ويسأله ويروي عنه ، حتى عد من الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة ممن روى عن الإمام أحمد . قال عبد الله بن الإمام أحمد : « سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عن قال بالقدر يكون كافرًا ؟ قال أبي :

(١) تكملة الديوان ص ١٧٣ .

(٢) الديوان ص ٩٧ .

(٣) تاريخ بغداد ١١ - ٣٦٧ .

(٤) وفيات الأعيان ١ - ٤٤١ .

(٥) ورقة ١٦١ (مخطوط) .

(٦) الوافي بالوفيات (مخطوط) ورقة ١٩ .

(٧) عيون التواريخ (مخطوط) ٦ - ١٧٤ .

(٨) ص ١٦٤ .

المقدمة

إذا جحد العلم : إذا قال إن الله لا يعلم ولم يكن عالماً حق خلق علماً فعلم ، فجدد علم الله فهو كافر (١) .

ويشيع في شعره كثيراً ذكر الكتاب والسنة والحديث والأثر وروايته وإسناده ، ويشدد في شعره على المعتزلة والروافض ومن يسميهم الزنادقة وأهل البدعة والضلالة والأهواء ، ويسمي قصيدة من قصائده « السُّنِّيَّة » .

قال :

وَأَسْمِعْ إِلَى غَرَاءِ سُنِّيَّةٍ يَسْطَعُ مِنْهَا الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
مَوْقِعُهَا مِنْ كُلِّ ذِي بَذْعَةٍ مَوْقِعُ وَسْمِ النَّارِ أَوْ أَكْثَرُ (٢)

ويقول في التوكل :

وَأَثَرُ آثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَقَالَ بِمَا قَالَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ (٣)

ويقول في المعتصم :

وَأَثَارُ النَّبِيِّ وَمُسْنَدَاتُ صَوَادِعُ بِالْحَلَالِ وَبِالْحَرَامِ (٤)

ويقول في أول قصائده في الحبس :

تَضَافَرَتِ الرَّوَافِضُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الْإِعْتِزَالِ عَلَى هِجَايِي (٥)

ويقول في مرثية التوكل :

فِيَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ غَرَّكَ عُصْبَةٌ زَنَادِقَةٌ قَدْ كُنْتُ قَبْلُ أَذُودُهَا (٦)

(١) طبقات الحنابلة ص ١٦٤ .

(٢) الديوان ص ٧٦ .

(٣) تكملة الديوان ص ١٦٤ .

(٤) الديوان ص ١١ .

(٥) الديوان ص ٨٤ .

(٦) الديوان ص ٦٣ .

ديوان علي بن الجهم

ويقول للقاضي أحمد بن أبي دؤاد أحد أئمة المعتزلة :

ما هذه البِدْعُ التي سَمَّيْتَهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلَ والتَّوْحِيدَ (١)

ويقول له :

كم مجلسٍ لله قد عَظَّمْتُهُ كي لا يُحَدَّثَ فيه بِالْإِسْنَادِ (٢)

وأشبه ذلك غير قليل في شعره . حتى قال فيه ابن أبي الحديد « كان علي بن الجهم من الحشوية شديد النصب عدواً للتوحيد والعدل (٣) » وعزا هذا القول إلى أبي الفرج الإصفهاني وهو غير موجود في الأغاني .

منهجه في السياسة

كان علي بن الجهم مخلصاً للخلافة العباسية ، غفوراً بالتشيع لها ، يعتقد أن بني العباس أولى الناس بسياسة الأمة وتولي أمورها ، لا تصلح إلا عليهم ، ولا تنقاد إلا إليهم . ومن هنا نزاه يفخر بخراسانيته سياسةً كما يفخر بقرشيته نسباً ، وذلك أن خراسان كانت موطناً لأبائه حيناً من الدهر ؛ وأهل خراسان هم الذين نصرُوا الدعوة العباسية وحملوا رايتها وحاربوا بني أمية ، وكان اعتماد بني العباس عليهم . وفي منهجه السياسي يقول للمتوكل :

مَذْهَبِي وَاضِحٌ وَأَضْلِي خُرَاسَا نُ وَعِزِّي يَعْزِّزُكُمْ مَوْصُولُ (٤)

ويقول للمتوكل :

تَحْنُ أَشْيَاءُكُمْ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَا نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبَأْسٍ شَدِيدٍ (٥)
تَحْنُ أَبْنَاءُ هَذِهِ الْخَرْقِ السُّو دِ وَأَهْلُ النَّشِيعِ الْمَحْمُودِ

(١) تكملة الديوان ص ١٢٥ .

(٢) تكملة الديوان ص ١٢٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١ - ٢٦٣ .

(٤) الديوان ص ٢٦ .

(٥) الديوان ص ٣٤ .

إِنْ رَضِيتُمْ أَمْرًا رَضِينَا وَإِنْ تَأْتُوا أَبَيْنَا لَكُمْ إِبَاءَ الْأُسُودِ
لَا نُوَالِي لَكُمْ عَدُوًّا وَلَا نَخْزِي مِلًّا ضِفْنَا عَلَى الْوَلِيِّ الْوَدُودِ
حَسْبُنَا اللَّهُ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَنِي دَاوُدَ وَمِنْ بَعْدِهِ وَآلَةُ الْعُهُودِ

ومن هنا منشأ انحرافه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن بنيه الذين يقولون إنهم أحق بالخلافة من بني العباس . ومسألة الخلافة في ذلك العصر لم تقف عند حدود السياسة بل تعدتها إلى أصول الدين ، فشيعه العلويين يقولون إن علياً رضي الله عنه هو الوصي ، وأولاده من بعده هم أصحاب الحق ، وشيعه العباسيين يقولون إن العباس رضي الله عنه هو الوارث ، وأولاده من بعده هم أصحاب الحق . وللشعراء من كل شيعة أقوال في هذا الشأن ، يوردون حججهم الخطائية ويرد بعضهم على بعض ، ولعلي بن الجهم في هذا المعنى قوله من قصيدة في المعتصم :

أَمَّا وَحُرِّمَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ	يَمِينًا بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْقَامِ (١)
لَأَنْتُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَوْلَى	بِمِيرَاثِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَنَامِ
تُجَادِلُ سُورَةَ الْأَنْفَالِ عَنْكُمْ	وَفِيهَا مَقْنَعٌ لَذَوِي الْخِلَصَامِ
وَأَنَارُ النَّبِيِّ وَمُسْنَدَاتُ	صَوَادِعُ بِالْحَلَالِ وَبِالْحَرَامِ
مَوَدَّتُكُمْ مُنَحَّصٌ كُلُّ ذَنْبٍ	وَتُقَرَّنُ بِالصَّلَاةِ وَبِالصَّيَامِ
وَرَافِضَةٌ تَقُولُ بِشُعْبِ رَضْوَى	إِمَامٌ ، خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ
إِمَامِي مَنْ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا	مِنَ الْأَتْرَاكِ مُشْرَعَةَ السَّهَامِ
إِذَا غَضِبُوا لَدَيْنِ اللَّهِ أَرْضَوْا	مَضَارِبَ كُلِّ هِنْدِيٍّ حُسَامِ

ويقول من قصيدة للمتوكل :

أَغْيَرَ كِتَابَ اللَّهِ تَبْعُونَ شَاهِدًا لَكُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ^(١)
كِفَاكُم بِأَنَّ اللَّهَ قَوْضَ أَمْرَهُ إِلَيْكُمْ وَأَوْحَى أَنْ أَطِيعُوا أُولَى الْأَمْرِ
وَلَنْ يَقْبَلَ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحَبْكُم وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ بِلَا طَهْرٍ

ويقول له :

يَا أَبَا الْفَضْلِ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ هُ أَنْتَ الْمُؤَمَّلُ الْمَحْذُورُ^(٢)
وَالْمَكْنَى بِكُنْيَةِ الْوَارِثِ الْعَبَّاسِ وَالْمَكْنَى بِهِ الْمَنْصُورُ
ولذلك يصفه صاحب الأغاني بقوله : « وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في
هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة^(٣) »
ويقول ابن أبي الحديد : « كان مبغضاً لملي عليه السلام ينحو نحو مروان بن أبي
حفصة في هجاء الطالبيين وذم الشيعة^(٤) » .
وهجاء البحتري بذلك فقال :

إِذَا ذُكِرْتُ قُرَيْشٌ لِلْمَعَالِي فَلَا فِي الْعِيرِ أَنْتَ وَلَا النَّفِيرِ^(٥)
عَلَامَ هَجَوْتَ مُجْتَهِدًا عَلِيًّا بِمَا لَقِيتَ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
وقال :

إِنْ وَقَعَتْ سَوْفُكَ أَوْ أُكْسِدَتْ بِضَاعَةٌ مِنْ شَعْرِكَ الْخَائِبِ^(٦)
أُنْحِتَ كِي تُنْفِقَهَا زَارِيًا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) الديوان ص ١٤٨ .

(٢) الديوان ص ٣٦ .

(٣) الأغاني ١٠ - ٢٠٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ١ - ٢٦٢ .

(٥) ديوان البحتري طبعة الجواب ٢ - ٩٩ والأغاني ١٠ - ٢٠٦ .

(٦) ديوان البحتري طبعة الجواب ٢ - ١٠٧ وانظر طبعة بيروت ص ٢٥

شعره :

علي بن الجهم شاعر مطبوع ، أظهر خصائص شعره الطبع والجزالة ، وتأدية المعنى على أوضح السبل وأيسرها ، يقل في شعره التقديم والتأخير ، والحذف والتقدير ، وما يقتضى إدامة النظر ، وإعمال الفكر . بصير بمحدود الكلام ، مقتصد في تشبيهاته واستعاراته ؛ وهو من أقل شعراء عصره صنعة ، لا تكاد نجد في شعره شيئاً من المحسنات اللفظية ، وإذا وجدت فمن غير قصد منه ، وكثيراً ما يغفل التصريح في مطالع قصائده شأن المطبوعين من الشعراء . وهذه أمثلة من مطالع قصائده :

ما زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُلُوكَ تَبَنِّي عَلَى قَدَرٍ أَخْطَارِهَا (١)

* * *

هَذَا الْعَقِيقُ فَقَدْ أَيْدِي الْعِيسِ عَنْ غُلَاقِهَا (٢)

* * *

قَالَتْ حُبْنَتْ قَلَّتْ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُفْعَدُ (٣)

* * *

خَلِيلِيَّ مَا لِلْحُبِّ بَزْدَادُ جِدَّةٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ يَبْلَى جَدِيدُهَا (٤)

* * *

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حُرْمَةٌ تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدَا (٥)

* * *

(١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .

(٢) الديوان ق ١٣ ص ٣٧ .

(٣) الديوان ق ١٤ ص ٤١ .

(٤) الديوان ق ١٦ ص ٥٠ .

(٥) الديوان ق ٢٤ ص ٧٧ .

لَمْ يَنْصِبُوا بِالشَّاذِبَانِ صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ مَفْمُوراً وَلَا مَجْهُولاً (١)

* * *

وما رأيته يتعمد الصنعة إلا في قطعتين من شعره ، الأولى يصف بها سفرأ له في الليل فيقول :

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السُّرَى وَأَزَالَنِي لَيْلٌ يَنْوُو بِصَدْرِهِ مُتَطَاوِلُ
وَهَزَزْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ أَسُومُهَا قَصْداً وَيَجْجُبُهَا السَّوَادُ الشَّامِلُ
حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِي عِظْفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضَابٌ نَاصِلُ
وَخَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَرُّ فِي بُرْدَيِّ رُمُحٌ ذَابِلُ
وَرَأَيْتُ أَغْبَاشَ الدُّجَى وَكَأَنَّهَا حَزَقُ النَّعَامِ ذُعْرَنَ فُهِى جَوَافِلُ
وَحَمَيْتُ أَصْحَابِي الْكَرَى وَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الْقِلَاصِ الْيَعْمَلَاتِ أَجَادِلُ (٢)

والثانية يرثي بها أبا تمام الطائي فيقول :

غَاضَتْ بَدَائِعُ فَظَنَةِ الْأَوْهَامِ وَعَدَتْ عَلَيْهَا نَكْبَةُ الْأَيَّامِ
وَعْدَا الْقَرِيضُ ضَنْبِيلَ شَخْصٍ بَاكِياً يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
وَتَأَوَّهَتْ غُرُرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانُ صَحِيحَهَا بِسَقَامِ
أَوْدَى مُثَقَّفَهَا وَرَائِضُ صَعْبِهَا وَغَدِيرُ رَوْضَتِهَا أَبُو تَمَّامِ (٣)

فكثرة الاستعارة والتشبيه في الأولى ، وغرابة الاستعارة في الثانية لا تكون إلا عن قصد وتعمد ، وهذه طريقة أبي تمام ، ولعل علياً لم يسلك هذه الطريقة عن قصد إلا في هاتين القطعتين .

(١) تكملة الديوان ق ٨٢ ص ١٧١ .

(٢) تكملة الديوان ق ٧٧ ص ١٦٨ .

(٣) تكملة الديوان ق ٩١ ص ١٨١ .

المقدمة

وشعره في شبابه أشبه بشعر المطبوعين من العرب ، لحن شجي ، وعاطفة جياشة ، وانتقال سريع من معنى إلى آخر ، كقصيدته في المعتم التي أولها :

مَتَى نَعَطَلْتُ رُبَاكَ مِنْ الْخِيَامِ سُقِيتَ مَعَاهِدًا صَوَّبَ الْغَمَامِ (١)

فلما اكتمل صار أميل إلى تسلسل المعنى وتوليده والاتصاف منه ، فقصيدته الدالية في الحبس وحدة تامة متسلسلة ، وكذلك أكثر قصائده التي قالها في التوكل أو في زمانه .

والجزل المحكم من شعره أشبه بشعر فحول الجاهليين والمخضرمين ، كزهير بن أبي سلمى والناطقة الديباني والحطيطنة ، مثال ذلك قوله :

يُعَاقِبُ تَأْدِيبًا وَيَعْفُو تَطَوُّلًا وَيَجْزِي عَلَى الْحُسْنَى وَيُعْطِي فَيَجْزِلُ (٢)
ولست بِبَخْرٍ أَنْتَ أَعَذْبُ مُورِدًا وَأَنْفَعُ لِلرَّاجِي نَدَاكَ وَأَشْمَلُ

وقوله :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَذْلِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ (٣)

وما قاله من الشعر في أيام محنته من أجود الشعر ، وأحسنه قصيدته الدالية في الحبس فهي من القصائد الحالدة ، لم يقل في معناها مثلها ، أبدع في ابتكارها ، وتسلسلها كما أبدع في صوغها .

يتناول المعنى البعيد فيعرضه قريباً من الفهم ، ويتصرف بالمعنى الواحد على عدة وجوه سلباً وإيجاباً فيحسن ويبدع .

شبهه نفسه لما حبس بالسيف في غمده ، والأمد في غيله ، والبدر في سراره ، والشمس في حجابها . ثم لما صلب مجرداً من ثيابه ، شبهه نفسه بالسيف المسلول ،

(١) الديوان ق ١ ص ٣ .

(٢) تكملة الديوان ص ١٦٥ و ١٦٦ .

(٣) تكملة الديوان ص ١٤٧ .

ديوان علي بن الجهم

والبدر الطالع ، أحسن وأروع ما يكونان وما عريانان . ولقد أعجب ابن المعتز بتوليد هذه المعاني وبالع في استحسانها حتى جعل ابن الجهم أشعر الناس (١) .
على أن هذه المعاني المتكررة لا تجتمع في كل قصيدة من شعره ، بل تختلف قلة وكثرة ، ولو تكلفها لما صعبت عليه ، ولكن سبيله سبيل الطبعين يسائر الشعر مسaire ولا يقتصره اقتساراً (ب) . وهو في كثير من شعره حريص على حسن تأدية المعنى أكثر من حرصه على ابتكاره .

قال أبو بكر الصولي : « حدثني عون بن محمد قال أنشدني علي بن الجهم قصيدته الدالية فأعجبني ، فقلت : أسألك الله ، أسبقك أحد إلى قولك فيها :

شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَنْ يَشْهَدُ
وما بعده من الآيات ؟ فقال : قلبي أحسن من قول من سبقني ، قلت ومن هو ؟ قال أشجع السلمي بقوله من آيات :

وقد شَهِدَتْ عِيُونُهُمْ فَقَالَتْ عَلَيَّ وَغُيِّبَتْ عَنْهُمْ عِيُونِي (٢) »
ويكثر في شعره على اختلاف معانيه الحوار بينه وبين متكلم أو مخاطب « قالت ... وقلت ... » غير قليل في قصائده ، وهذا الأسلوب من القول لا يستقيم إلا لشاعر قدير . ولا محل لإيراد الشواهد لكثرتها (٣) .

والباعث عنده على قول الشعر إرواء غلة نفسه من حب أو بغض أو فرح أو حزن ، وكان يترفع عن التكسب بشعره ، ولم يمدح إلا الحلفاء ولا سيما المتوكل منهم الذي كان ينادمه . وفي هذا المعنى يقول :

وَقَصِيدَةُ غَرَاءٍ يَفْدِي الدَّهْرُ قَبْلَ فَنَائِهَا
لَمْ تَسْتَمِخْ أَيْدِي الرِّجَا لِإِمْدَاحِهَا وَهَجَائِهَا

(١) طبقات الشعراء ص ١٥٢ .

(٢) كتاب الأوراق للصولي . قسم أخبار الشعراء ص ٨٩ والخبر هناك أطول .

(٣) انظر الديوان ق ١٦ ص ٥٠ و ق ٢٣ ص ٧١ وتكملة الديوان ق ٥١

ص ١٤١ و ق ٨٩ ص ١٨٠ .

(ب) كان أبو يعقوب الخريزي يقول « لا أجادب الكلام إلا أن يسألني عفواً » تهذيب

تاريخ ابن عساكر ٤٣٤/٢ . ٣٤

خُصَّ الخليفةُ جعفرُ بـ **ن** مُحَمَّدٍ بِثَنَائِهَا (١)

وأكثر موضوعاته تترجم عن نفس شاعرة مأخوذة بمظاهر الجمال على تنوعها ، كالرياض والأزهار والمياه والسحب ، فضلاً عن حسن الوجوه وسحر العيون وهيف القدود .

ولعل أصدق شاهد على شاعريته ، قوله يصف نفسه إذا أخذه حاله من أحوال الشعر ، فأحيا ليله بين القوافي وهي تراءى لحاطره :

أَعَاذِلَ لَوْ أَضَافَكَ جُنْحُ لَيْلٍ إِلَيَّ وَأَنْتِ وَاضِعَةُ اللَّيَامِ
لَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ شَهْرًا وَأَلْهَاكَ السَّهَادُ عَنِ الْمَنَامِ
وَعَنْتَ كُلُّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ كَلَمَحِ الْبَرْقِ أَوْ لَهَبِ الصَّرَامِ
عَلَى أَعْجَازِهَا قَرَمٌ إِذَا مَا عَنَاهُ الْقَوْلُ أَوْجَزَ فِي تَمَامِ
شَوَارِدُ إِنَّ لَقَيْتَ بِهِنَّ جَيْشًا صَرَفَنَ مَعَرَّةَ الْجَيْشِ اللَّهَامِ
وَإِنْ نَازَعْتَهُنَّ الشَّرْبَ كَانَتْ مُدَامًا أَوْ أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامِ (٢)

ما سبق ذكره من خصائص شعره يصح على أكثر شعره ، على أن منه الحسن والأحسن ؛ ولكن هناك نوعاً كان يقوله في حال لا يقصد فيها إلى التجويد ، كأن يكون مع التوكل فيطلب إليه أن يرتجل أبياتاً فيما يحدث بينه وبين جواريه وحظياته .

وأبواب شعره يمكن إرجاعها إلى المديح والرثاء والوصف والغزل والفخر والحكمة والهجاء ، وهناك باب جديد له له أول من نظم فيه ، وهو نظم حوادث التاريخ الإسلامي .
وشعره في المدح جزل رصين ، فيه إحكام ودقة ، وإشادة بما خُصَّ به المدوح من المزايا والفضائل ، لا من ذاك النوع من المدح الذي يجوز أن يمدح به كل

(١) الديوان ص ٣٨ .

(٢) الديوان ص .

ديوان علي بن الجهم

إنسان . فتصديده في المعتصم لا يمكن أن يقال في غير المعتصم ، وكذلك قصائده في المتوكل . حتى إن طائفة من قصائده المدونة في مخطوطة هذا الديوان وردت في عناوينها أنها قيلت في الواثق ، وهي تنادي على نفسها أنها قيلت في المتوكل ، وقد نهنا إلى ذلك في مواضعه .

وهذه من مزايا الشاعر الذي يضع الأشياء في مواضعها . ويعني ما يقول ، ولا يرسل الكلام جزافاً .

ولم يمدح إلا خليفة ، وليس في مدحه للخلفاء طلب أو استجداء ، وما قصيده في المعتصم إلا تعبير عن تقدير الأمة لبطولته في فتح عمورية ، والقضاء على بابك الحُرَبي الذي حارب الدولة أكثر من عشرين سنة ، وغيره من الخارجين على الخلافة . قال ابن رشيقي في العمدة ٢٠/١ « قال علي بن الجهم في مدح المتوكل :

وما الشعرُ مما أُسْتَظِلَّ بِظِلِّهِ ولا زادني قدراً ولا حطَّ من قدرِي
ثم قال :

ولكنَّ إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ دعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعرِ

فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أي لا يتكسب به ، وأنه لم يزد قدره ، لأنه كان نابه الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال : — ولا حط من قدري — فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر ، يقول ليس الشعر ضعة في نفسه ، ولا صنعته فيمن دون الخليفة ؛ وما كفاه ذلك ، حتى جعل نفسه بإزاء الخليفة بل مكافئاً له بشعره على إحسان بداء الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتدياً .
وكأنه لم يجد في الواثق ما وجده في المعتصم ، فلم يتل فيه إلا أحياناً هي أشبه بالأناشيد والأغاني وزناً ومعنى .

فلما بويع المتوكل وجد فيه الإمام المنتظر لاتفاقها في الرأي والمذهب ، وغلوها في التسنن ، فأكثر من مدحه وتفنن فيه ، من ذلك قصيدة (١) قالها ملكاً بويع المتوكل شرح فيها خطة الخليفة في الحكم وسياسة الأمة ، فكانت أشبه بما يسمونه

(١) الديوان ق ٢٣ ص ٧١ .

المقدمة

اليوم « خطاب العرش » وحمل فيها على المعتزلة وغلاة الشيعة وغيرهم ممن سماهم الزنادقة وأهل البدع والأهواء . وهناك قصيدة (١) بدأها بوصف قصر من قصور الخليفة أبداع فيها غاية الإبداع . وثالثة (٢) بدأها بحوار غزلي سحر سارت مسير الشمس . وهكذا بقية قصائده فيه ، لكل قصيدة صورة خاصة تنوه بمخائص الخليفة وترجم عن معان وحوادث تتصل برأي الشاعر ومذهبه ، كما تتصل بفنه وشاعريته .

ولم يبق من شعره في الرثاء إلا آيات (٣) رثى بها أبا تمام الطائي جرى فيها على سنن أبي تمام في غرابة الاستعارة ، كأنه أراد أن يودع صديقه أبا تمام بأسلوبه الخاص به . وقصيدة (٤) في رثاء عبد الله بن طاهر ليس فيها ما يستحق التنويه . وقصيدة (٥) في رثاء المتوكل هي من أعجب الشعر ، تدل على وفاء عظيم بعد أن آذاه المتوكل ، وفي أولها موقف شعري بديع ، وصف فيه سحابة كأنه جعلها رمزاً للمتوكل ، ثم غلبه الحزن فخرج من الكناية إلى التصريح ، والقصيدة بمحملتها من القصائد البارعة .

أما شعره في الوصف ففيه براعة ودقة ، وهو في هذا الباب مجيد محسن ، يصور الموصوف كأنك تراه بما فيه من جليل ولطيف ، وربما كان هذا الباب من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلها على قوة ملاحظته ، ورقة شعوره وحسن بيانه وقوة إبداعه . وقد بقي لنا من وصفه قليل من القصائد والمقطعات كوصف القصر

(١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .

(٢) تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .

(٣) تكملة الديوان ق ٩١ ص ١٨١ .

(٤) تكملة الديوان ق ٩٤ ص ١٨٢ .

(٥) الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .

ديوان علي بن الجهم

والفؤارة (١) والبركة (٢) والمركب (٣) والسحابة (٤) والصيد (٥) وبيت القيان (٦) والليل (٧) والورد (٨) والشطرنج (٩) ووقعة خُساف (١٠) ومجلس من مجالس اللهو (١١). وفي هذا الباب تتجلى شاعريته وقوة ابتكاره ، يتول في وصف الفؤارة :

وفؤارة ثأرها في السماء فليست تُقصّر عن ثأرها
تردّ على المزن ما أنزلت على الأرض من صوب مذارها

ويعجني كثيراً قوله في وصف البركة :

من أيّ أقطارها أتيت رأي الحسن حيران في جوانبها

وإيراد الشواهد على ذلك يطول مع وجودها في الديوان وتكلمته .

وشعره في الغزل من عيون الشعر ، وذلك أنه كان بطبعه ميالاً إلى اللهو والتمتع بالجمال على اختلاف مظاهره ، وساعد على ذلك وسامة وجهه ، وذلاقة لسانه ، وحسن بيانه ، وكونه من الطبقة العليا ، ثم اختصاصه بالمتوكل ومنادته له نحواً من سبع سنين ، وشهوده مجالس اللهو والغناء في قصور الخلافة . وله فلسفة في تفسير الهوى جديرة بالتأمل قال :

- (١) الديوان ق ٩ ص ٢٨ .
- (٢) الديوان ق ١٠ ص ٣٢ .
- (٣) تكملة الديوان ق ١٧ ص ١١٤ .
- (٤) الديوان ق ١٨ ص ٥٦ .
- (٥) تكملة الديوان ق ٢٣ ص ١٢٠ .
- (٦) الديوان ق ١٧ ص ٥٢ .
- (٧) تكملة الديوان ق ٧٧ ص ١٦٨ .
- (٨) الديوان ق ٢٧ ص ٨٩ وتكملة الديوان ق ١٣ ص ١١١ ورق ٥٨ ص ١٥٢
- وق ٨١ ص ١٧١ و ق ٩٢ ص ١٨١ .
- (٩) تكملة الديوان ق ٨٨ ص ١٧٩ .
- (١٠) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣١ .
- (١١) تكملة الديوان ق ٥ ص ١٠٥ .

خَلِيلِيَّ الْهُوْلَى خُلِقَ كَرِيمٌ تَقَصَّرُ عَنْهُ أَخْلَاقُ اللَّذَامِ
وفاءً إِن تَأْتِ بِالْجَارِ دَارٌ وَرَعِيًّا لِلْمَوَدَّةِ وَالذَّمَامِ (١)

وهو على إحسانه في تصوير الشوق وتبريح الهوى ، شديد الشعور بنفسه كأنه يحاول أن يقول إن وجد المرأة به كوجده بالمرأة ، أو أنه يجب أن يكون كذلك . ويكثر في غزله الحوار بينه وبين النساء ، فتصديده الرصافية (٢) مبنية على ذلك ، وله غيرها (٣) سلك فيه هذا الأسلوب القريب من أسلوب عمر بن أبي ربيعة . وغزل ابن الجهم مما يتغنى به ويرغب فيه ، ويتنافس به الحسان يكتبته على راحتهن وأكفهن وأقدامهن ، وعلى الحجال والكلل وعلى أطباق الورد (٤) . وقد بالغ ابن شرف القيرواني باستحسان قصيدته الرصافية فقال : « وله في الغزل الرصافية ، وفي العتاب الدالية ، ولو لم يكن له سواهما ، لكان أشعر الناس بهما » (٥) .

ولشدة اعتداده بنفسه يشيع الفخر في كثير من قصائده على اختلاف موضوعاتها ، فيفخر بنفسه ونسبه ودينه وعلمه وبيانه وشجاعته وكرمه ووسامته ، يكثر من ذكر قریش وفروعها لاتصال نسبه بها . ويسمى القرشيين آل الله :

أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجَبَتْنِي أَنْ أُرَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَتَضَجَّرُ (٦)
أُولَئِكَ آلُ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ بِهِمْ يُجَبَّرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ

يتجلد للصائب ولا يتضعع ، ويتماك ولا يهن ، ويرى نفسه وإن أُوذِيَ وُسْجَنَ وَتُفِي وَصَلَبَ أَسْمَى مِنْ أَنْ يَنَالَهُ هَوَانٌ ، أو ترهقه ذلة ، ولم يستسلم في محنته إلا لله وذلك لايمانه وتدينه :

(١) الديوان ص ٥ .

(٢) انظر تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .

(٣) انظر الديوان ق ١٦ ص ٥٠ وتكملة الديوان ق ٨٩ ص ١٨٠ .

(٤) انظر الظرف والظرفاء للوشاء ص ١٤٥ و ١٤٨ و ١٥١ .

(٥) أعلام الكلام ص ٢٣ .

(٦) تكملة الديوان ق ٣٩ ص ١٣٠ .

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ (١)

ولئن كان في فخره شيء من التيه والتعاضم ، فليس فيه بأو أو تبجح فارغ .
وفي شعره بدوات متفرقة من الأدب والحكمة مقتبسة من الدين وآداب السنة
ومن الأخلاق العربية ، لمكان الدين من نفسه ، كمحاسبة النفس وأخذها بالتصبر في
النوائب ، واصطناع العروف ، وإغانة الملهوف ، والروءة والحياء والهمة والكرم (٢) .
ولو وصل إلينا جميع شعره لوصل معه هجاء كثير فقد قال السعودي : «... وكان
في لسانه فضل قلّ من يسلم معه منه (٣) » على أن البقية الباقية منه تدل على
جرأة عجيبة ، فقد هجا أحد أمراء البيت العباسي وهو أبو أحمد بن الرشيد ،
ولم يكذ يسلم من لسانه أحد من رجال الدولة وبطانة الخلفاء ، كمحمد بن عبد الملك
الزيات وزير المعتصم والواثق ، وعبيد الله بن خاقان وزير المتوكل ، وقاضي القضاة
أحمد بن أبي دؤاد ، وابنه أبي الوليد ، وعمر بن الفرج الرُّخَّجِي . وكان يتعالى
على ندماء المتوكل فسعوا به إلى الخليفة وأقنعوه بأنه هجاء فلم يستبعد ذلك ، وكانت
هذه المكيدة سبب محتته ، فأنشأ يمزق أعراضهم بقصائده التي كان يبعث بها
من سجنه إلى المتوكل ، يدافع عن نفسه ويهجو هؤلاء الذين افتروا عليه وكادوا له ،
وهو في هجائه خصم لدود عالم بالمقاتل ، لا يتورع عن هتك الأعراض وانتهاك
الحرم بالجد والسخر ، وتنتابه في هجائه حمية جاهلية تظني على ما طالما تمدح به
من التدين والأخذ بآداب السنة . ولم يهج إلا الأمراء والوزراء والقضاة وكبار
رجال الدولة وحاشية الخلفاء وأسبابهم . أما الشعراء فكأنه لم يرههم أكفاء له ، فلم
يهجمهم ولو تعرضوا إليه ، هجاء البحري (٤) ثلاث مرات فلم يحبه ، وهجاء مروان
ابن أبي الجنوب (٥) بحضرة المتوكل في مجلس من مجالس سمره فقال :

(١) الديوان ق ٢٥ ص ٨١ .

(٢) انظر الديوان ق ٢١ ص ٦٨ و ق ٣٠ ص ٩٣ و ق ٣٧ ص ٩٧

وتكملة الديوان ق ١ ص ١٠٣ و ق ١٢ ص ١١٠ و ق ٣٢ ص ١٢٧ و ق ٦٧ ص ١٥٧

(٣) مروج الذهب ٢ - ٢٧٥ .

(٤) انظر ديوان البحري طبعة الجوانب ج ٢ ص ٨٨ و ٩٩ و ١٠٧ .

(٥) الأغاني طبعة الساسي ١١ - ٣ .

لَعَمْرُكَ مَا الْجَهْمُ بْنُ بَذْرِ شَاعِرٍ وَهَذَا عَائِيٌّ بَعْدَهُ يَدَّعِي الشُّعْرَا
ولكن أبي قد كان جاراً لِأُمِّهِ فَلَمَّا ادَّعَى الْأَشْعَارَ أَوْهَمَنِي أُمْرَا

فأعرض عنه احتقاراً (١) ، فقال له المتوكل أجبه ، قال لقد كظني النبيذ يا أمير المؤمنين ، قال هذا عي ولا بد من إجابته ، فأطرق ساعة ثم قال علي بالدواة ، فآتي بها فكتب :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ بَلَاءٌ عَدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ
يُبَيِّحُكَ مِنْهُ غِرْضًا لَمْ يَصْنَعُهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي غِرْضٍ مَصُونٍ

وله أبيات في السخرية من مغل (٢) ومن آخر تدل على مافي طبعه من الدعابة والتهمك .

وهناك باب آخر في شعره نظن أن علي بن الجهم أول من فتحه في الشعر العربي ، وهو نظم الحوادث والتاريخ الإسلامي ، أو نظم إلياذة عربية تشتمل على سيرة الخلفاء وفتوحهم ، فقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء (٣) أن له قصيدة ذكر فيها تاريخ الخلفاء إلى زمانه ، ونرجح أنه أول من حاول أن يدون سير الخلفاء شعراً ، وأن يروض الشعر العربي على هذا النحو من الموضوعات الغريبة عنه . وما نرى الباعث له على ذلك إلا هواء السياسي في تأييد الدعوة العباسية والتتويه بعظمتها .

نعم لقد نظم أبان بن عبد الحميد اللاهني شاعر البرامكة كتاب سيرة أردشير وكتاب سيرة أنوشروان (٤) ، ولكن أحداً من الشعراء لم يسبق علي بن الجهم فيما نظن إلى نظم تاريخ الخلفاء ، فهو الذي فتح هذا الباب فولج به بعده ابن المعتز فنظم مزدوجة طويلة في سيرة الخليفة المعتضد (٥) ، وتلاه ابن عبد ربه فنظم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ - ٢٦٤ .

(٢) تكملة الديوان ق ٢ ص ١٠٣ و ق ١٩ ص ١١٧ .

(٣) معجم الأدباء ٢ - ٦٢ في ترجمة أبي الحسن أحمد بن محمد الأنباري .

(٤) الفهرست ص ١١٩ .

(٥) ديوان ابن المعتز « مطبعة المحروسة بصر » ١ - ١٢٦ .

ديوان علي بن الجهم

مغازي عبد الرحمن الثاني (١) ، ثم نظم أبو طالب عبد الجبار الأندلسي مزدوجة ذكر فيها الخلفاء في الشرق والغرب (٢) ومهد لها بفصول « في بدء الخليقة وذرة البرية » .
(ب)

أما قصيدة علي بن الجهم التي ذكرها ياقوت فقد ضاعت مع ما ضاع من شعره ، ولكننا ظفرنا بقطعة (٣) في « بدء الخلق والذرة » نطن أنها من أوائل القصيدة الضائعة . والذي حملنا على هذا الظن قصيدة أبي طالب الأندلسي الممهد لها بفصل عنوانه « بدء الخليقة وذرة البرية » وهو على الأرجح اتبع طريقة ابن الجهم واقتفى أثره .

وهكذا صنع الفردوسي (٣٢٩ - ٤١١) في الشاهنامه التي نظم فيها سيرة ملوك الفرس ، مهّد لها بفصل في خلق (٢) العالم وفصل في خلق الإنسان .

(ب) ظفرنا بهذه القصيدة بمد طبع الديوان فالحصاهابه انظر ص ٤٥

(١) المقد ٥ - ٢٦٢ طبعة المريان .

(٢) الذخيرة لابن بام القسم الأول من المجلد الثاني ص ٤٠٥ و ٤١٢ .

(٣) انظر تكملة الديوان ق ٦٨ ص ١٥٧ .

(٤) انظر الشاهنامه ترجمة الفتح بن علي البنداري ج ١ ص ٦ و ٧ .

لفته :

علي بن الجهم شاعر مطبوع فصيح ، عذب الألفاظ ، سهل الكلام ، لا غرابة في لغته ، ولا تعقيد في نظمه ، في شعره الجزل الرصين ، والرقيق العذب . وهو على صحة طبعه ، عالم بالشعر بصير بنقده ، يحسن اختيار اللفظ ويضعه حيث ينبغي أن يكون ، وكلامه بما يستشهد به على سبيل الاستئناس . وله — كما لكل شاعر — ألفاظ تحظى عنده وتدور على لسانه أكثر من غيرها ، ومن الألفاظ التي يكثر ورودها في شعره مادة « عتب » ومشتقاتها ، ولفظه الأعجاز ، مثال ذلك :

وَلِكُلِّ حَالٍ مُّعْتَبٌ وَلِرَبِّمَا أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ^(١)
 أَنْشَأَهَا بِرِكَةٍ مَبَارَكَةٍ فَبَارَكَ اللَّهُ فِي عَوَاقِبِهَا^(٢)
 وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَلِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّقْضَلُ^(٣)
 وَتُزَنَ وَلِلصَّبَاحِ مُعَقَّبَاتٌ تَقْلَصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ^(٤)
 عَلَى أَعْجَازِهَا قَرَمَ إِذَا مَا عَنَاهُ الْقَوْلُ أَوْجَزَ فِي تَمَامِ^(٥)
 وَخَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَزُّ فِي بُرْدَيِّ رُمُحٌ ذَابِلَ^(٦)

وتتردد في شعره الألفاظ الدينية مثل الدين والكتاب والسنة والحديث والآثر والمسندات والإسناد .

- (١) الديوان ص ٤٤ .
- (٢) الديوان ص ٣٢ .
- (٣) نكلمة الديوان ص ١٦٣ .
- (٤) الديوان ص ٨ .
- (٥) الديوان ص ٦ .
- (٦) نكلمة الديوان ص ١٦٨ .

ديوان علي بن الجهم

ويستعمل فعل « أشاد » للذم ، بخلاف ما عليه أكثر البلغاء ، إذ المشهور أنه للمدح وإن كان من معانيه إشاعة المكروه والقيح قال :

فبأيِّ ذَنْبٍ أَصْبَحْتُ أَغْرَاضُنَا نَهْبًا يُشِيدُ بِهَا اللِّئِيمُ الْأَوْغَدُ (١)

أشاعَ وزيرُ السوءِ عنكَ عجائبًا يُشِيدُ بِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مُشِيدُهَا (٢)

وكثيراً ما يجعل همزة الوصل همزة قطع مثال ذلك قوله :

أَيْقَنْتَ مِرَّةً الْحَوَادِثِ أَنْ لِي سَإِلُ الْإِنْتِصَارِ مِنْهَا سَبِيلُ (٣)

إِنْ ذَلَّ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ خُطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ (٤)

واستعمل نون التوكيد الخفيفة بعد ألف التثنية خلافاً للجمهور فقال :

وَيْأَيُّ كَمَا وَالْحَمَرَ لَا تَقْرَبَانِهَا كَفَى عَوَضًا عَنْهَا الشَّرَابُ الْمُعَسَّلُ (٥)

وهناك ألفاظ وردت في شعره لم أجدها فيما رجعت إليه من كتب اللغة ، فقد توسع في اشتقاق بعضها وتجاوز في استعمال بعضها ، فمن ذلك قوله :

وَمَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ أَوْفَرَ لُبَّهُ وَمَنْ جَاوَرَ الْقَدَمَ الْعَيْيَ تَفَدَّمَا (٦)

ولم يرد في كتب اللغة تَفَدَّم بمعنى صار قدماً وإنما ورد قَدَّمَ .

وقوله وقد جعل فعل (أَوْرَقَ) متعدياً وهو لازم :

غَرَسُ كَفِّكَ يَا بَنِي عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ۖ أَنْشَأْتَنِي وَأَوْرَقْتَ عُودِي (٧)

(١) الديوان ص ٤٧ .

(٢) الديوان ص ٦٤ .

(٣) الديوان ص ٢٣ .

(٤) تكملة الديوان ١٤٩ .

(٥) الديوان ص ٧٠ .

(٦) الديوان ص ٢٠ .

(٧) الديوان ص ٣٥ .

وقوله وقد استعمل (تنكر) بمعنى (استنكر أو أنكر) :

تَنَكَّرَ حَالٌ عِلَاتِي الطَّبِيبُ وَقَالَ أَرَأَيْ بِجِسْمِكَ مَا يَرِيبُ ^(١)

وقوله وقد استعمل (التوارق والتوارد) بمعنى توريق الشجر وتوريده :

وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ وَشَى زَخَارِفُهُ زَهْرٌ وَنَوَزٌ وَتَوَزَّقَ وَتَوَرَّادُ ^(٢)

وقوله وقد استعمل (الحملة) بمعنى الحول :

فَجَلَّلَتْهُ يِعِزُّ بَعْدَ مَحْمَلَةٍ وَرَتَبَهُ مِنْ الْإِفْضَالِ فِي الرُّتَبِ ^(٣)

وقوله وقد استعمل (أثنى) بمعنى كنى .

يَمَلَأُ الْكَفَّ وَلَا يَفْضُلُهَا وَإِذَا أَثْنَيْتُهُ لَا يَنْتَنِي ^(٤)

وقوله :

بِأَرْضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُورُ ^(٥)

إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ وَأَسْمَرُ خَطِيٍّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرٍ ^(٦)

أراد بالصفيح المذكر السيف ، والذي في كتب اللغة الصفيحة وهي السيف العريض .
ووصفه بالمبتتر ، والذي في كتب اللغة البتار .

ولم يأخذ عليه الرزباني في الموشح إلا لفظتين زعم أنه أخطأ بهما . الأولى
في شعره وهي (عِلَان) مكان (إعلان) في قوله :

(١) تكملة الديوان ص ١٠٦ .

(٢) تكملة الديوان ص ١٢٣ .

(٣) تكملة الديوان ص ١١١ .

(٤) تكملة الديوان ص ١٨٨ .

(٥) تكملة الديوان ص ١٣١ .

(٦) تكملة الديوان ص ١٣٢ .

وَنَحْنُ أَنَا أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ يَصِحُّ لَكُمْ إِسْرَارُهَا وَعِلَانُهَا

والثانية في حديثه ولها خبر لا بأس بنقله : « قال محمد بن يزيد النحوي : كنا عند محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب ، وعنا علي بن الجهم ، فأراد الانصراف ، فقال له محمد بن عيسى : لو متعتنا بنفسك ، فقال له : إنه بلغني شيء ، وأظني مأزور في قعودي . قال أبو العباس فنقص في عيني وإنما هو موزور (١) » .

أما الأولى : فقد ورد في كتب اللغة « عاله معالنةً وعِلاناً » .

وأما الثانية : فقد ورد في النهاية مانصه : « ... ومنه الحديث ارجس مأجورات غير مأزورات أي غير آثمت وقياسه موزورات وإنما قال مأزورات للزدواج بمأجورات وقد تكرر في الحديث مفرداً ومجموعاً »
فما أخذه المرزباني عليه مردود غير مسلم به .

ديوان

لعلي بن الجهم ديوان وصفه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٦٧/١١ بقوله : « له ديوان شعر مشهور » ووصفه ابن خلكان ٤٤١/١ بقوله : « وديوان شعره صغير » ونقل منه بعض الأمثلة . وجاء ابن شاكر السكتي فتقل في عيون التواريخ ١٧٥/٦ ما قاله ابن خلكان . ولم يزد صاحب كشف الظنون على قوله : « ديوان علي بن جهم السامي التوفي سنة ٢٤٩ » فدل على أنه لم يره . ولم يذكر واحد من هؤلاء اسم من جمع ذلك الديوان . ولكن ابن النديم ذكر في الفهرست ص ١٥١ أن أبا بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ صنف شعر علي بن الجهم على حروف المعجم .

أما هذا الديوان الذي عُنيّا بتحقيقه ونشره فنسخته المخطوطة فريدة في العالم ، محفوظة في خزانة الإسكوريال بإسبانيا تحت رقم ٣٦٩ من فهرس ديرنبورج . كتب لنا عنه منذ أكثر من سنتين الصديق الفاضل الاستاذ عبد العزيز محمد الأهواني المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وكان في الإسكوريال يستقصي البحث في الأدب الأندلسي ، فرجونا منه أن يصور للمجمع العلمي العربي نسخة عنه ، فبعث بها هدية نفيسة مشكورة .

يدخل هذا الديوان في اثنتين وأربعين صفحة ، مسطرة كل صفحة سبعة عشر سطراً جاء في آخره : « تم شعر علي بن الجهم والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً آمين في العشر الأوائل من شعبان المعظم سنة ١٠٠٢ » ولم يذكر الناسخ اسمه ولا تاريخ النسخة التي نقل عنها .

أما الخط ففقرني تصعب قراءته ولا تجدى طول الممارسة كبير نفع في التصحيح والتمحيص ، لأن الناسخ رحمه الله لم يلزم قاعدة في رسم الحروف ونقطتها . أضف إلى ذلك كثرة التصحيف الذي قد يكون نقله عن غيره . ويجد القاري صورة صفحتين من الأصل وهما أشبه بالطلاسم .

لا نظن أن نسخة الإسكوريال هذه هي نسخة الديوان الذي جمعه أبو بكر الصولي ،

ديوان علي بن الجهم

لأنها لا تشتمل إلا على قسم من شعر علي بن الجهم ، — وإن كان ورد في آخرها :
— تم شعر علي بن الجهم — وليس يجوز على الصولي أن يقطع بتدوين هذا المقدار
من شعر الشاعر ويفوته كبير مما اشتهر من شعره كقصيدته الرصافية التي أولها :

عيونُ ألها بين أنثرُ مَافَةَ والجِسِرِ جَلَنَ الهَوَى من حيثُ أذري ولا أذري (١)
وقصيدته التي أولها :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمَّلُ وللدهرِ أيامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ (٢)
وقصيدته التي أولها :

لَمْ يَنْصِبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ مَغْمُوراً ولا مجهولاً (٣)
وغيرها ؛ وأخرى أن في نسخة الإسكوريال قصيدتين ومقطوعة لا تطمئن النفس
إلى نسبتها إلى علي بن الجهم ، بل هي من الشعر المتأخر حتى عن زمن الصولي ، وهي
القصيدة الضادية (٤) والدالية (٥) والمقطوعة الميمية (٦) .

وكذلك لا نظن أن نسخة الإسكوريال هذه هي نسخة الديوان الذي وصفه ابن
خلكان بكونه صغيراً ، وذلك لأن ابن خلكان نقل منه لما ترجم لعلي بن الجهم
يبتين أولها :

بَلَاءَ لَيْسَ يَعْدِلُهُ بَلَاءَ عَدَاوَةُ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ (٧)
ويبتين أولها :

يَا ذَا الَّذِي بَعْدَايَ ظَلَّ مُفْتَخِرَا هَلْ أَنْتَ إِلَّا مَلِيكَ جَارٍ إِذْ قَدَرَا (٨)

(١) تكملة الديوان ق ٥١ ص ١٤١ .

(٢) تكملة الديوان ق ٧٤ ص ١٦٢ .

(٣) ق ٨٢ ص ١٧١ .

(٤) الديوان ق ١٥ ص ٤٨ .

(٥) الديوان ق ٢٦ ص ٨٥ .

(٦) الديوان ق ٣٣ ص ٩٤ .

(٧) تكملة الديوان ق ١٠٣ ص ١٨٧ .

(٨) تكملة الديوان ق ٥٠ ص ١٤١ .

المقدمة

وهذه الأبيات غير موجودة في نسخة الإسكوريال .
فمن جمع إذن هذه النسخة ؟ لا نعلم من هو ، ولكننا نرجح أنه على كل حال متأخر عن عصر ابن خلكان ، جمع ما وصلت إليه يده من شعر الشاعر ولم يستقص في الجمع .

هذه النسخة وإن لم تشتمل على كل شعر الشاعر ، فقد اشتملت على أكثر ما بقي منه ، حفظت عدداً من القصائد البارة لا توجد في غيرها . وفي نشرها بعد أن طواها الزمن قروناً عديدة ، ورقدت في قماطر الإسكوريال دمعاً طويلاً ، رقد للشعر الأصل ، وعون على دراسة كبار الشعراء ، ووسيلة لاستكمال الأسباب لتدوين تاريخ الأدب العربي .

تكملة برائه :

بعد أن فرغت من تحقيق الديوان والتعليق عليه ، وظهر لي أنه لم يستوعب جميع شعر علي بن الجهم ، بدا لي أن أجمل له تكملة أجمع فيها ما ليس في الديوان من شعره . فتوفرت على مراجعة طائفة من كتب الأدب والتراجم والتاريخ مخطوطها ومطبوعها ، فاجتمع لدي ما يضارع الديوان ، فأفردتها على حدة ، وأوردتها مرتبة على حروف المعجم وذكرت معها مصادرها ، وألحقها بالديوان ، ولا أشك في أن ما فاتني أكثر مما اطلعت عليه .

ولا بد من الإشارة إلى أن في خزانة برلين نسخة من قصيدة ابن الجهم المعروفة بالقصيدة الرصافية تحت رقم ٧٥٣٩/٤ حاولت الحصول على صورة منها لأعارضها بما جمعته من القصيدة المذكورة وأوردته في التكملة (ق ٥١ ص ١٤١) فلم أظفر بيبغيتي لتعذر هذا الأمر في الأحوال الحاضرة .
وأرجو أن يكون في نشر هذا الديوان ، حافز على الاستقصاء في دراسة هذا الشاعر ، وجمع أشعاره وأخباره .

خليل مردم بك

دمشق } ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٩
٢٥ كانون الأول سنة ١٩٤٩

علي بن الجهم ٤

المكتبة العربية - التنويرية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَلَّمَ اللَّهُ نَارًا بِمَا عَمِلُوا

فَالْعِلَّةُ فِي الْجَنَّةِ بِزَيْلِ نَدْحِ الْمُقْتَضِ بِالله

مَنْ عَمِلَ نِعَمًا فِي الدُّنْيَا مِنْ نِعَمٍ مَقَامًا لِنَفْسِهِ أَوْ لِنَفْسِ
لَا يَسْمَعُ خِلَافَ مَا أَمَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ وَأَخْلَفَ عَنْهُ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ
وَنَفَتْ بِهَا عَنْ جِلْدِ نَوَالِي تَعْيِيمِهَا لِنَفْسِهِ أَوْ لِنَفْسِ
تَلَّتْ لِنَفْسِهِ مَنْ أَلْزَمَ بِهِ لَيْسَ وَالْعَمَلُ بِهِ أَلْزَمَ
فَعَمِلُوا إِلَيْنَا يَرْجِعُونَ حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نَجْزِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا
حَرَامٌ أَنْ نَجْزِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَلَمْ نَذَرْ لَهُمْ فِيهِ مِنْ إِجْرَامٍ
مَا نَسَخَ كُلَّ ذَنْبٍ مِنْهُمْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِلَىٰ أَفْتُنَا
بِكُلِّمَا تَشْتَدُّ لِقَاءُ بَيْنَنَا حَرَمٌ وَإِذَا مَرَّ إِلَىٰ نَجْمٍ
وَيُتَنَافَسُ فِيهِ مِنَ الْإِنْسَانِ لَمَّا يَكْفُرُ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ
إِلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حَقِّهِ لِيُقَاسَ أَفْئِدَةً بِأَفْئِدَةٍ
مِنْهُمْ فِي ظُلُمٍ أَلْمَسُوا فِيهِ مِنْ شِدْقِ رَبِّهِمْ فَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَيُخْرَجُونَ مِنْ حَقِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَالْإِنْسَانُ

خِلَافٌ

صورة الصفحة الأولى من ديوان علي بن الجهم

المحفوظ في خزانة الإسكوريال

(رقم ٣٦٩)

خَلَقَ الْفَوْسَ خَلَقَ كَرِيمٌ فَفَرَعَتْ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانُ
 وَجَاءَ إِنْ شَاءَ بِالْحَارِثَةِ أَوْ رَحِيلاً الْمَوَدَّةَ الدَّمِ
 أَمْ لَهَا نَفْسٌ تَلْمِزُهُ أَمْ تَعْلَمُ رَحْمَةً لِّلْعَالِيَةِ وَاللَّهُ
 الْعَبْدُ الْقَوَّامُ خَلَقَ لَيْلَ الْيَوْمِ أَنْشَأَ رَحِيلاً
 لَعَلَّ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ شَهْرًا وَالْقَامُ أَمْسَلَهُ عَنِ الْبَيْتِ
 أَعْيَاهُ مَا أَفْرَدَ بِهِ إِذْ أَمَّا أُنَاجٍ الْفِيلَ خَفِيَ الْكَلَامُ
 وَجَعَلَ كُلَّ نَابِيَةٍ مَّشْرُودٍ كُلِّ الْفَرْزِ أَوْ لَيْسَ
 عَجَلُ الْعَبْدِ مَا فَرَدَ إِذْ أَمَّا عَنَاءُ الْفَعُولِ خَزَنَ
 شَوْلَهُ إِنْ لَقِيتَ بِمَنْ خَفِيَ صَرْفٌ مَعْرُوفٌ الْيَمِينُ
 وَإِنْ تَارَ غُثًى الشَّرِّ كَانَتْ مَرَامًا أَوْ التَّمْزِيلُ
 يَشْرَعُ عَلَى الْفَرْزِ الْيَمِينِ خَزَنَ بِنَا أَعْدَدَ بِنَا مَقَامَ
 أَيْدِي خَلِيقَةِ اللَّهِ أَسْفَلَتْ قَلَابِصٌ مِّثْلَ حَبْلَةِ الْفَعُولِ
 تَرَامَا كَالشَّرِّ مَعْمَا إِلَى الْبَيْتِ مِنْ جَعْدِ الْفَعُولِ
 تَقَاوُزُ بَيْنَ مَدَارٍ يَجْعَلُ مَوْرِدَ الْخَيْلِ كَيْسَ الْفَرْزِ
 وَبَيْنَ مَشْلَةٍ تَكْفُرُ لَهُ أَمَّا تَقَابُصٌ (تَكْفُرُ مِنْ الْفَعُولِ)
 خَزَنَ عَنْ مَنَاحِرِ الْفَعُولِ الْفَعُولُ أَعْرَادُ الْفَعُولِ
 بَعْدَ بِنَا أَوْ تَرَامَا كَالشَّرِّ الْفَعُولُ الْفَعُولُ

صورة الصفحة الثانية من ديوان علي بن الجهم

المحفوظ في خزانة الإسكوريال

(رقم ٣٦٩)